

الإسكندرية الأكبر والإسكندرية

١٥-١٨ يناير ١٩٩٦

ورقة عمل حول

تأثير الثقافة اليونانية في مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية

بالإسكندرية

د. يسرى دعبس

الثقافة اليونانية وتأثيرها في

مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

والسياسية بالإسكندرية

Thyroid gland - histology

Thyroid gland - histology

1.1

Thyroid gland - histology

1.2

Thyroid gland - histology

Thyroid gland - histology

Thyroid gland - histology

Thyroid gland - histology

Thyroid gland - histology

Thyroid gland - histology

تجهيد:

لقد كان الإسكندر يحزن كلما انتصر أبوه فى إحدى المعارك الحربية خصوصاً بعد أن أقنعتة أمه بأنه ابن كبير الآلهة. ولذلك كان يقول إذا انتصر أبى فى كل المعارك التى يخوضها فماذا يترك بعد ذلك ... هذا هو الإسكندر القائد المقدونى الذى عاتب أستاذه الفيلسوف العظيم «أرسطو» عندما نشرت محاضراته فكتب إليه معاتباً «عتاباً من الإسكندرية إلى أرسطو» لم تحسن صنعاً أن نشرت بعض محاضراتك فقد كان من الواجب عليك أن تجعلها سرّاً نباهى به الأمم ولا أزال أفضل أن تكون لى قوة العلم لا قوة السلاح.

كما أنه فى عام ٣٢٤ ق-م وقبل قيامه بغزواته لآسيا أى منذ أكثر من ألفى عام سافر إلى مصر فسحره نيلها العظيم وسماؤها الصافية وبحرها الأبيض فأقام فيها عاماً كاملاً استطاع بذكائه وفطنته أن يختار المكان المناسب لإنشاء مدينة الإسكندرية ... وذلك بعد أن وطأت قدماه رمل جزيرة «فاروس» حيث وقف مشدوها بشواطئها الجميلة وموقعها الفريد .. فقال :

«هنا سأبنى مدينتى التى طالما حلمت بها،

وهى تعد واحدة من تسع مدن تحمل اسمه ولقد تحول الحلم إلى حقيقة عندما بدأ «دينوقراطيس» عام ٣٢٢ ق.م تخطيط المدينة الجديدة «الإسكندرية» بربط جزيرة فاروس بالشاطئ لإنشاء عنه ميناءان «الميناء الشرقى والميناء الغربى» وانتهى العمل فى إنشائها عام ٢٢١ ق.م وبنيت الإسكندرية على نسق المدن اليونانية الكبرى آنذاك حيث تتعامد الشوارع

العرضية على الشوارع الرأسية بما يشبه قطعة الشطرنج.

وكان الإسكندر يستهدف من وراء تأسيس الإسكندرية عدة أهداف
نجل أهمها في النقاط التالية :

* أراد من الناحية الحضارية أن تصبح الإسكندرية مدينته الجديدة
التي أقامها على أسس الحضارة الإغريقية معيناً لا ينضب لهذه الحضارة
ينشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحه ولخضاعه لسيطرته.

* وأراد أن تكون الإسكندرية من الناحية العسكرية قاعدة بحرية تتيح
له السيطرة على شرقى البحر الأبيض المتوسط.

* جعل الإسكندرية ميناءً تجارياً جديداً خصوصاً بعد تحطيمه لميناء
صور وهو فى طريقه إلى مصر نتيجة صمود أهل صور فى الدفاع عنها.

* ازدياد علاقة مصر بعالم بحر إيجه على مدى قرون قبل قدوم
الإسكندر .. فقد كان الفراغة يتركون عواصمهم فى الجنوب ويتخذون
لأنفسهم عواصم جديدة فى الدلتا ... وكان طبيعياً أن ينمى الإسكندر هذه
العلاقة ويزيدها قوة ومتانة، فكان من الأهمية بمكان إنشاء ميناء يطل على
بحر إيجه ... يكون جديراً بأهمية مصر وثرائها المادى والحضارى^(١)

ولقد اتخذ بطليموس الإسكندرية عاصمة للملكة الجديد الذى سادته على
جنبات الودى بمصر .. وغدت فى عهده أكبر ميناء فى البحر المتوسط
حينذاك ... بل غدت عاصمة للعالم القديم بأسره ... وظلت الإسكندرية تتمتع
بمكانتها الرفيعة طوال العصر البطلمى، ولما فتح الرومان مصر وحولوها

إلى ولاية من ولايات إمبراطوريتهم الواسعة فى عام ٢٠ ق.م بقيت الإسكندرية مركزاً لحكم الوادى أكثر من ستة قرون أخرى انتهت بالفتح العربى.

ولقد وجه بطليموس بن لاجوس عناية كبرى بالإسكندرية فنقل عاصمته إليها وجعلها أعجوبة العالم حينذاك، ترتفع فى ميناها فوق جزيرة فاروس هذه المنارة الشهيرة التى خلعت اسمها من بعد على مثيلاتها فى كثير من اللغات الحديثة ... وكان يرقد جثمان الإسكندر فى منطقة «سيما» بينما يوجد معبد «السرايوم» الشهير شاهداً على أن سراييس كان إلهاً مصرياً ... وأقيم بها معهد للتربية وميدان للألعاب الرياضية وحلبة لسباق الخيل ومسرح كبير .. وشيد بها القصر الملكى الرئيسى فوق جزيرة صغيرة شرق الميناء، وإلى جواره القصر دار العلم والمكتبة التى جمع لها البطالة أكثر من نصف مليون لفاقة بريدية ... هذه المكتبة التى شهدت إبداعات عباقرة العلماء والأدباء من مختلف بلدان العالم، ففى الإسكندرية اكتشف إريستارخوس نودان الأرض حول الشمس، واستطاع أراتوستثيس قياس محيط الكرة الأرضية، وكتب أقليدس كتاب المبادئ فى علم الهندسة، واخترع هيرون الآلة البخارية، وذاع صيت مدرسة الطب بالإسكندرية فى التشريح والجراحة^(٢).

وبناء عليه جسدت المدينة عبقرية المكان بموقعها بين البحر واليابسة .. فتزود بما يقد إليها عن طريق البحر بثمرات العقل البشرى عبر عمليات الاتصال الثقافى بمفهومه الشامل ... وجسدت أراضيها بموقعها على أرض

مصر عراقتها وحضارتها الأصلية علي مر العصور.

ولقد كانت ولا تزال الإسكندرية تخاطب العقل والوجدان وتحمل بين ذكرياتها حلم الإسكندرية وقاج قيصر وعرش كليوباترا، وعروس البحر المتوسط ومنازة للإشعاع الفكري والتواصل الحضاري ومواطن الفن والجمال.

وتهدف هذه الورقة إبراز تأثير الثقافة اليونانية في كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية بمصر بصفة عامة وبالإسكندرية بصفة خاصة ... خصوصاً وأن المصريين قد تعاونوا مع الإسكندر وساعدوه في هزيمة الفرس لأنه احترم ديانتهم ولم يجبرهم علي تغييرها ... وقد توجه كهنة مصر فرعوناً علي البلاد ... وكان نتيجة ذلك حدوث اتصال ثقافي واسع بين الحضارة اليونانية والحضارة المصرية وما تمخض عنه من عمليات التأثير والتأثر ومن ثم الاقتباس والاستعارة والافتاء بين الحضارتين.

تساؤلات ورقة العمل:

* ما هو تأثير الثقافة على اليونانية على كافة الأنشطة لثقافية والفكرية والأدبية والفنون المصرية بصفة عامة والسكندرية بصفة خاصة.

* ما هو تأثير الثقافة اليونانية على النظم السياسية المصرية كالديوانين وخلافه وكذلك أنماط العمل والإنتاج وظروف الحياة المجتمعية في تلك الفترة خصوصاً وأن اللغة اليونانية كانت اللغة الرسمية في نواوين مصر وظلت حتى سنة ٤٠٠ م خلال الحكم الروماني.

من التعرف على عملية التثنية والتثنية بين الثقافة اليونانية والثقافة
المصرية واتجاهات تلك العنصر اتمام التفاعل الاجتماعي بين مختلفين من
اليونانيين والمصريين بصحبة عاداته والسكان من بيئة مختلفة داخلية وأندالك احيى
النهائية بطل هليلثا التكيف والتكيف والتوافق والصدا غير التوافق في الشرح رقي
٢٦ * التعرف على الرؤية المتبادلة لكل من الشخصية اليونانية والشخصية
المصرية .. رؤية الذات اليونانية للذات المصرية وبالعكس.^(١٧)

وسأعتمد في هذه الورقة على الكتب التاريخية المختلفة التي تناولت
تلك الفترة وأقوم بتحليل الملاحظات وربطها ببعضها ومحاولة تفسير كثير من
الأحداث وربطها ببعضها. ^(١٨) وسأعتمد كذلك على بعض أعضاء الحالية اليونانية واليونانيين المسنين
الذين وفد أجدادهم منذ أمد بعيد وقرأوا وسمعوا من أجدادهم وأبائهم عن
طبيعة توافدهم إلى مصر بصفة عامة والإسكندرية بصفة خاصة وظروف
الحياة الاجتماعية والثقافية التي عاشوها نتيجة تواصلهم وتواجدتهم على
أرض مصر وطبيعة عمليات الاتصال الثقافي في الزمن البعيد وما تمخض
عنه من تراث خالد أضاف الحضارة المصرية عمقا وأصالة.

أولاً: الإسكندرية وحلم تكوين إمبراطورية تجمع بين العالم الشرقي والغربي

إسكندر المقدوني هو الإسكندر الثالث ابن فيليبس الثاني المقدوني
من زوجته أولمبياس، ولد في بيلافيا ٣٥٦ ق.م وقد يكون ليسيماكوس أول
من علمه، إلا أن أرسطو قد تولى أمر تعليمه بدءاً من الثالثة عشرة من عمره
في علم الأخلاق والسياسة والفلسفة وفن الحكمة .

وقد تولى الإسكندر حكم مقدونيا بعد اغتيال فيليب فى عام ٢٢٦ ق.م ، وقد ثارت عليه بعض المدن اليونانية لاختيار مدة قوة الحكم الجديد .. وقد أثبت الإسكندر صلاحيته فاستولى على طيبة وهدمها واسترق أهلها ، ولم يبق من بيوتها سوى بيت الشاعر بنداروس ، وتبعاً لذلك أعلنت مدن اليونان جميعها ولاها للإسكندر ، وخرج الإسكندر فى حملته على الشرق عام ٢٢٤ ق.م^(٣) .

وجدير بالذكر أن ظهور الإسكندر المقدونى هذا القائد المحنك والسياسى البارع كان إيذاناً ببداية عصر جديد ، ومرحلة حضارية جديدة فى المنطقة التى مثلت قبل ظهوره عالين مختلفين .. أولهما العالم الشرقى ويضم أغلب المناطق الآسيوية والأفريقية المتاخمة للبحر المتوسط واستاداتها نحو الشرق ... وثانيهما العالم الغربى ويضم مقدونيا وبلاد اليونان ومستعمراتها على الساحل الغربى لشبه جزيرة آسيا الصغرى .

ولما كان حلم الإسكندر وهدفه النهائى هو توحيد العالمين فليس بمستغرب اتجاهه نحو الشرق واستمرار فتوحاته وانتصاراته خصباً وأن الجزر كانت منتشرة بشكل واضح فى حوض بحر إيجه مما جعل من السهولة بمكان قيام اتصالات بين شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى .

وبناء عليه لم يكن البحر مانعاً لحدوث ثمة اتصال ثقافى أو غزو ثقافى بين المنطقتين وما يترتب على ذلك من عمليات التأثير والتأثر بين الثقافات والحضارات المختلفة .

وهناك حقيقة جديرة بالذكر وهي أن بلاد اليونان مع استقرارها وممارستها لنشاطها الاقتصادي التجارى الخارجى قد كانت قبلتها الإتجاه نحو الشرق ... وكان نتيجة ذلك أن الهجرات اليونانية إلى ساءل آسيا الصغرى كانت تمثل أعلى كثافة سكانية ... وكان ظهور قرطاجة قرية جديدة فى الجزء الغربى من البحر المتوسط للدرجة التى تسمح بتواجد قوة أخرى معها، بناء عليه تأكد فكرة الاتجاه إلى الشرق لدى اليونانيين^(٤).

وهناك حقيقة أخرى جديرة بالذكر أن الاتصال بين اليونان والشرق قد كان قبل عصر الإسكندر وهناك عدة أمور تؤكد ذلك نجمل أهمها فى النقاط التالية :

- تصور أشعار هوميروس فى الإلياذة احتكاك اليونانيين عسكرياً بطروادة على ساحل آسيا الصغرى قبل ظهور الإسكندر بحوالى أربعة قرون.

- أقام الفرعون تحتمس الثالث فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أحد قواده حاكماً على جزر بحر إيجه.

- ظهور تأثير الفن المصرى بشكل واضح على الفن اليونانى وبصفة خاصة فى مراحله الأولى، سواء فى العمارة ببداية ظهور الأعمدة الدورية أو فى الصور المبكرة فى فن النحت.

- انتشار عبادة الإله أمون المصرى فى اليونان وأقيم له معبد فى أثينا وكان له عرافوه الذين وضعوه فى مصاف عرافى دلفى ودودوذ^(٥).

إن هذا الاتصال بين حضارة العالم الشرقى والعالم الغربى قد تخلف عنه إقتباس أو استعارة لبعض السمات الثقافية المادية وغير المادية بين هذين العالمين إلا أنه لم يصل إلى حد التمثيل الثقافى على حد تعبيرنا كانثروبولوجيين وتمثل أو تبنى طرف من الأطراف لنظم حياة الطرف الآخر من جميع الجوانب

ولم يحدث ثمة مزج إلى حد كبير بين العالمين الشرقى والغربى إلا خلال الفترة القليلة فى سنواتها والعظيمة فى تأثيرها فى مختلف جوانب الحياة فى العالم إبان غزوات وانتصارات الإسكندر وتكوين إمبراطوريته التى تفتت بعد موته المبكر نتيجة صراعات قادته وأطماعهم ...

وهناك حقيقة جديدة بالذكر وهى أن الإسكندر برغم موته صغيراً (الثالثة والثلاثين من عمره) إلا أن إنجازاته قد غيرت مجرى التاريخ وأصبحت الظروف التى وجدت من بعده كفيلاً لتحقيق حلم المزج بين أوروبا وآسيا ... وهذا ما كان بالفعل فبعد إنتهاء الإمبراطورية الفارسية ،أصبحت تخضع من أقصاها لحكام مقدونيين يتمتعون جميعاً بقسط من الثقافة الهيلينية، ويات من الطبيعى الاعتماد على سواعد مرتزقة الإغريق وعلماء ومثقفين ورجال الاقتصاد والإدارة والفنيين الإغريق كى يوطدوا دعائم ممالكهم ونشر ثقافتهم وفنونهم عن طريق الاتصال الثقافى بمفهومه الأنثروبولوجى الواسع مع أبناء الممالك التى تخضع لهم.

بناء عليه تدفق تيار الهجرة الإغريقى للبلاد التى فتحها لهم بعد وفاته وحمل هؤلاء المهجرون معهم فنونهم وآدابهم وأساليب معيشتهم، كما نقلوا

نظمهم المدنية ومعاهدهم جيمينازيوم Gymnasium، وألعابهم وأعيادهم ...
أى مختلف عناصر التراث الثقافى لهم، وكان لابد لهم من أن يحدث بينهم
وبين أبناء المواطن الأصلية فى مصر وآسيا إتصالاً ثقافياً كما سبق القول
يتم من خلاله عمليات الاقتباس والإستعارة والاقبتناء والتمثيل الثقافى
وبالتالى يحدث التكيف الاجتماعى بين المهاجرين وأبناء الوطن الأصلي ...

وبناء عليه أشرك الحكام الجدد رعاياهم الوطنيين فى ميادين العمل
الحكومى، ولم يخضعوا هم أنفسهم للمؤثرات الشرقية، وذلك برغم مناداتهم
لسياسة الإسكندر التي كانت تقضى بمعاملة الفرس كائداد (٦) .

لقد حكم بطليموس مصر كوال ... وأعلن نفسه ملكا علي مصر عام
٢٠٦ ق.م. وكانسدر في مقدونيا وسيلوكوس في سوريا وكان هذا رد فعل
علي إعلان أنتيجونوس نفسه ملكا علي مقدونيا ... وبذلك تكونت الممالك
الثلاث الكبرى التي قدر لها أن تسيطر علي العالم الهلينستي.

ثانياً: الاتصال الثقافى بين الحضارة اليونانية والمصرية القديمة،

يقصد بالاتصال الثقافى أو الاتصال الحضارى وهما تعبيران يعبران
عن حقيقة واحدة اتصال ثقافة أو حضارة بثقافة أخرى أو بحضارة أخرى
بغض النظر عن مستوى الثقافة أو درجة التطور الحضارى فى التصل أو
المتصل به ...

والاتصال الثقافى بمفهومه الأنثروبولوجى الواسع يتعدى نماذج
الاتصال الشخصى والاتصال الجماهيرى لأنه اتصال بين الثقافات

والحضارات فى مجالات الاقتصاد والفنون والآداب وما يتخلل ذلك من عمليات الاقتباس والاستعارة للسّمات المادية وغير المادية لثقافات الشعوب المتواصلة ..

ويختلف مفهوم الاتصال الثقافى عن الغزو الثقافى بالرغم من أنهما يشتركان فى استخدام وسائل الإعلام خصوصاً بعد التطور التكنولوجى فى مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية وزيادة الموجات والقنوات فى مختلف الوسائل السمعية والبصرية والتي يمكن أن تقطع على الإنسان. أياً كان خلوته وعزلته ،أصبح العالم مثل قرية صغيرة، ويتناقض المصطلحان كل منهما عن الآخر كما يتضح فى الفروق التالية :

١- الإكراه والاختضاع فى الغزو الثقافى، وفى المقابل التلقائية والإيجابية فى الاتصال الثقافى، فمبدأ الحرية إذن هو المبدأ الذى يفرق بين الغزو الثقافى وبين الاتصال الثقافى، كما ينص القرآن الكريم لا إكراه فى الدين، نقول لا إكراه فى الثقافة.

٢ - خلق الاستعداد للإنفصال عن الجذور الثقافية والعضارية والوطنية بل والتكر لها وإحتكارها فى الغزو الثقافى ... وفى المقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة فى الاتصال الثقافى ... مبدأ عدم التكر من جانب الانتقاء من جانب آخر، المبدأ الثانى الذى به تفرق بين الغزو الثقافى وبين الاتصال الثقافى.

٣ - صياغة العقول فى الغزو الثقافى، وفى المقابل الإضافة واستكمال البناء العقلى فى الاتصال الثقافى^(٧)

وتبرز أهمية الاتصال الثقافي في النقاط التالية،

- المساعدة على انتشار كافة الفنون والآداب واقتراح تلك العناصر أو تزاوجها والخروج بنسيج متجانس يؤدي إلى وحدة الحس الفكري الإنسانى فى الثقافات المتباينة.

- الوقوف على أحدث التطورات فى مجال التكنولوجيا وتطويرها فى خدمة الإنسان.

- المساعدة فى عمليات النقل والاستعارة والانتقاء للسماح المتقابلة وما يتبع ذلك من تشجيع عوامل الإبداع والابتكار وانتقال وتداول الأفكار المبدعة المؤثرة فى تقدم الشعوب.

- المساعدة فى تطبيع العلاقات بين البلدان المختلفة، ومن ثم الشعوب والتعرف على العادات والتقاليد والأعراف المتباينة، والمساعدة فى تأصيل الخصوصيات الثقافية فى مقابل العموميات الثقافية، وبالتالي تعميق وتأصيل الشخصية القومية لكل شعب من الشعوب والسماح المحددة لتلك الشخصية وأهمية كل منهما من أجل الالتقاء الإنسانى الأمثل.

ترجع العلاقة بين مصر ببلاد الإغريق إلى ما قبل مجئ الإسكندرية بعدة قرون وكما سبق القول ... وذلك عندما قام تجار مدينة ميليتوس الإغريقية بآسيا الصغرى بدور الوسيطاء بين المملكة الليدية وشعوب البحر المتوسط ... وقد تمكنوا فى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد من تأسيس محطة لهم فى دلتا النيل، وهى عرفت فيما بعد باسم «نقراطيس» وهى قرية كرم جعيف الحالية بمحافظة البحيرة.

وجدير بالذكر أن ظروف مصر السياسية آنذاك هي التي ساعدت هؤلاء التجار الإغريق على دخولها، حيث أن أبسماتيك الذي أسس الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية لم يستطع أن يحرر البلاد من الاستعمار الأشوري إلا بفضل المرتزقة الإغريق وبناء عليه فقد تقرب للإغريق وبدأ يسمح للتجار الإغريق بالإقامة في مصر وأتبع خلفاؤه نفس السياسة وبهذا زاد تدفق الإغريقين من التجار والمدنيين.

كما قدم الإغريق العون للمصريين عندما ثاروا على الفرس فقدموا لهم قوة بحرية كبيرة ... وانتظم الجند الإغريق في صفوف الثوار المصريين كلما طلب إليهم ذلك، في حين كانوا يرفضون الاشتراك في صفوف القوات الفارسية التي كانت تحشد لإخماد الثورات المصرية ... وتحقق حلم التخلص من الاستعمار الفارسي على يد الإسكندر الأكبر ولذلك وجد الترحاب من جانب المصريين عند غزوه مصر ولم يعتبره المصريون عدواً أو مستعمراً جديداً لطبيعة العلاقات الوطيدة منذ القدم بين بلاد الإغريق ومصر من مختلف الجوانب الثقافية والاقتصادية^(٨).

ثالثاً، الإسكندرية كعاصمة وأهم الموانئ في حوض البحر المتوسط،

يمكن إجمال أهمية الإسكندرية كعاصمة وميناء هام في حوض البحر المتوسط في النقاط التالية :

١ - كانت الإسكندرية تمثل أهم موانئ مصر وأكبر مدنها التجارية والصناعية، أعظم المدن التي شيدها الإسكندر، ولقد رأت عينه الفاحصة في قرية راكوتيس Rhacotis الفقيرة مكاناً صالحاً لمدينة عظيمة ... وقام

المهندس الرودسى دينوكراتيس Dinoceatis بوضع تصميم المدينة الجديدة وفقاً لأحدث القواعد. فى فن تخطيط المدن ... فاختار لها شريطاً من الأرض الرملية يقع بين بحيرة مريوط والبحر وكانت تقع فى البحر قبالة هذا الشريط جزيرة فاروس Pharos التى وصلت بالأرض ... فنشأ عن ذلك ميناء واسع آمن فى الجانب الشرقى، وميناء أكبر منه وإن كان أقل أمناً فى الجانب الغربى ... ولقد انتظم القسم الغربى من المدينة لقرية زاكوتيس القديمة التى أصبحت الحى الوطنى الخاص بالمصريين ... وعلى بضعة أميال من الشرق كانت تقع مدينة كانوب Canopus (أبو قير) التى أصبحت مكاناً سى السمة يزداد طلاب اللهو والعبث وكانت المدينة مستطيلة الشكل يشقها من الشرق إلى الغرب شارع فسيح مستقيم يسمى «شارع كانوب» تحف به الأعمدة والبواكى وتقطعه مجموعة أخرى من الشوارع الفسيحة^(٩).

٢٠ - لقد حكم البطالة وادى النيل خلال ثلاثة قرون قدر للإسكندرية أن تقوم فيها بدور كبير فى تاريخ العالم بأسره، وفى تاريخ مصر بصنعة خاصة حيث كانت هى عاصمة مصر ومركز إشعاع حضارى ونقطة انقاء بين عالمين مختلفين أحدهما شرقى فى نظمه ومعتقداته وقيمه ونظراته للحياة بوجه عام، ويضم أغلب المناطق الآسيوية والإفريقية المتاخمة للقسم الشرقى من البحر المتوسط، والآخر غربى يختلف اختلافاً كبيراً فى كل هذه الأشياء وهو الجزر الأوروبية التى تضم مقدونية وبلاد اليونان إلى جانب المدن أو الدويلات اليونانية الواقعة على الشريط الساحلى الغربى لشبه جزيرة آسيا الصغرى ... وهذا لا يعنى أن هذه المناطق كانت منعومة الاتصال ببعضها قبل إنشاء الإسكندرية فقد كان الاتصال بينهما فى التجارة والفن والعقيدة

والثقافة والحروب. وهذه الأنشطة اشترك فيها المصريون والفرس والفينيقيون واليونان ولكن كل هذا كان مجرد تسرب حضارى إنتقلت من خلاله بعض التفاصيل الحضارية من جهة إلى جهة دون أن يصل ذلك إلى درجة الالتقاء الواسع الذى يقرب بين القيم الحضارية إلى الحد الذى نهضت به الإسكندرية ... وبناء عليه فإن التأريخ للإسكندرية أكثر من مجرد تأريخ لمدينة حيث إنه فى الواقع تأريخ لعصر بأكمله وإزدهرت فيه حركة الاتصال الثقافى والحضارى بين الأمم وكان مسرحه المنطقة المتاخمة للقسم الشرقى من البحر المتوسط على شواطئ القارات الثلاث المطلة عليه ... وكان نقطة ابتدائه قيام إمبراطورية الإسكندر التى هيأت الطرف التاريخى اللازم للالتقاء الحضارى بين أرجاء هذه المنطقة^(١٠).

٢ - لم يختز البطالة منف أو طيبة عاصمة للكهم رغم أنهم، تشبهوا بالفراغة وساروا على نمطهم فى كل ما يتعلق بنظام الحكم .. حيث إن تلك العواصم القديمة باتت لا تصلح للعصر الجديد فقد كانت قيعة منف، تنحصر فى إنها تمكن الحكومة من السيطرة على الوجهين البحرى والقبلى فى وقت كان الربط بينهما أمراً فى مقدمة المهام السياسية، أما قيعة منف فكانت مركز ثقل سياسى لحرص حكومات مصر فى التوسع نحو الغرب لإبقاء الأماكن التى ينتشر فيها النفوذ لكهنة آمون تحت المراقبة المباشرة أو للسيطرة على مناطق النوبة وشمال السودان أو لد نفوذها الاقتصادى إلى إقليم يونت (الصومال) وبناء عليه كان من الضرورى أن يتجه البطالة نحو البحر المتوسط سواء فى برنامجهم التوسعى أو فى علاقاتهم السياسية والاقتصادية والحربية خصوصاً بعد زيادة موجة الصراعات والخصومات

واقترسام إمبراطورية الإسكندر بعد وفاته^(١١).

٤ - ساعد موقع الإسكندرية البطالة على المنطقة الشرقية للبحر المتوسط كإنسب مركز للدعاية السياسية منذ بدء حكمهم إلى جميع أرجاء العالم الهلينستى الجديد الذى قام على أثر تقسيم إمبراطورية الإسكندر والذي كان دولة تشغل هذه المنطقة .. فكانوا يرسلون الوفود إلى جميع المناطق التى يريدون إقامة علاقات معها على مستوى أو آخر، وهناك السفارات الأجنبية التى كانت تصل إلى الإسكندرية وبخاصة فى أعياد البطوليميا التى كانت فى الحقيقة معرضاً لكل نواحي التفوق الحضارى فى مصر والتى أراد البطالة بها مضارعة أعياد الياناثينيا فى أثينا إبان العصر الذهبى لبلاد اليونان ...

وكانت شوارع الإسكندرية تموج فى هذه الأعياد بالمبعوثين الرسميين ... وكانت هناك المكتبة ودار الحكمة (المتحف) أو الجامعة اللتان كانتا مركزاً للإشعاع الثقافى فى العالم الهلينستى ومركز التقاء للعلماء والمفكرين والأدباء الذين يفدون من مختلف أرجائه ... وكانت هناك عقيدة «سرابيس» التى صدرها البطالة من الإسكندرية إلى شواطئ القسم الشرقى للبحر المتوسط^(١٢)

رابعاً: مظاهر الحياة الاجتماعية وخصائصها خلال حكم البطالة؛

ويمكن إجمال أهم ملامح وخصائص الحياة الاجتماعية خلال حكم البطالة لمصر وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الجاليات القاطنة فى مدينة الإسكندرية وطبيعة الحقوق والواجبات والالتزامات بين الجاليات بعضها

البعض وتأثير الثقافة اليونانية فى كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية فى النقاط التالية :

* إن الحكام فى العصر البطلمى كانوا من العنصر المقدونى اليونانى واعتمدوا فى بناء دولتهم على جذب واستجلاب أعداد كبيرة من بلادهم ... وبناء عليه كان المقدونيون والإغريق هم العنصر الغالب فى الجيش والإدارة ... إلخ^(١٣)

* كان هدف البطالمة توطيد حكمهم وتدعيمه من جميع الجوانب وقد لمسنا تلك من استقدامهم للعلماء والفنانين وأصحاب الحرف ... إلخ وكان طبيعياً أن تكون الفرص متاحة ومشجعة للتدفق والهجرة إلى الإسكندرية التى كانت تمثل أغنى عاصمة لأغنى دولة من دول العالم الإغريقى.

* إزدياد عدد السكان نتيجة التيار الحديث للإسكندرية ويذهب المؤرخ ديودوروس Deodoros إلى تقدير الأحرار المتمتعين بالمواطنة الاسكندرية ٢٠٠ ألف مواطن مستنداً إلى قوائم السكان لعام ٦٠ ق.م وبناء عليه جمعت الإسكندرية خليطاً ضخماً من الجنسيات وهذا ما جعل المؤرخ والجغرافى سترابون يطلق عليها خزاناً عاماً .. أو على حد تعبير فليون الاسكندرى مجموعة من المدن داخل مدينة واحدة فقد كانت تضم الإغريق والإيطاليين والسوريين والليبيين والفينيقيين والأحباش والعرب والوافدين من بكترية وسكيتية واليهود والفرس .. والمتجول فى شوارعها يستمع إلى كافة اللغات الأفريقية والآسيوية إلى جانب اللهجات الإغريقية المختلفة^(١٤).

* إن الوافدين إلى الإسكندرية كان كثير منهم ما يأتى فى مهام

اقتصادية وسياسية أو مناسبات واحتفالات البطالة باعتبارهم بالإضافة إلى وفود السفارات من شواطئ القسم الشرقي للبحر المتوسط، أو من المصريين الريفيين الذين كانوا يأتون للإسكندرية لقضاء تجارة أو مصلحة من المصالح.. وبناء عليه امتازت الإسكندرية بزيادة العدد من مختلف الجنسيات، وهذا حالها الآن.

• لقد قسم سكان الإسكندرية بوجه عام إلى خمسة عناصر وتمثل بوجه عام خمس طبقات من ناحية الوضع الاجتماعى فى المدينة وإن كانت التقسيمات الداخلية لبعض العناصر قد تنزل قليلاً أو كثيراً عن وضعهم الطبقي فى المجتمع، فقد انقسم العنصر الإغريقى إلى ثلاثة عناصر ... المواطنين الكاملين أو السكندريين وكانوا من الأسر العريقة ولهم كافة الحقوق المواطنة الكاملة فى الوظائف العليا وامتلاك الأراضى والتزوج من الإغريق، والإعفاء من أعمال السخرة وبعض الضرائب وكانوا ينقسمون إلى عدة قبائل التى تنقسم إلى أحياء اتخذت أسماءها انتساباً إلى اسم إله أو بطل إغريقى أو لقب ملك من ملوك البطالة .. وطبقة أنصاف المواطنين لا يتمتعون بكافة حقوق المواطنة وكانوا من اليونانيين المقيمين بالإسكندرية ولكنهم لم يسجلوا بعد لسبب أو لآخر فى قوائم الأحياء التى كانت تنقسم إليها القبائل .. وطبقة الإغريق الفقراء الذين توافدوا إلى الإسكندرية سعياً وراء الرزق ولم يكن لهم حقوق الطبقتين السابقتين ..

والعنصر الثانى هو المقدونيون وكانوا يمثلون طبقة ممتازة من ناحية حقوقهم أو وضعهم الاجتماعى حيث إن البيت الحاكم نفسه كان ينتمى إلى

العنصر المقدوني وكانت تضم الرتب العسكرية العليا .. وكان اليهود يمثلون العنصر الثالث وإن لم يتمتعوا بحقوق المواطنة كما هو الحال في العنصر الإغريقي .. ثم عنصر الفرس الذين ينحدرون من أسر فارسية استوطنت مصر حين كانت خاضعة للحكم الفارسي قبل فتح الإسكندرية، ومذاك فئة من هؤلاء الفرس ذات الكفاءات الخاصة التي جذبتها الفرص التي منحها البطالمة للعناصر المتميزة من الوافدين ولقد اصطبغ هؤلاء بصبغة الإغريق بسرعة .. ثم عنصر المصريين وكانوا عادة من أصحاب الحرف الصغيرة وكان منهم من يعمل في صفوف بعض كتائب الجيش، وظلوا محافظين في معظمهم على صبغتهم الوطنية بعيداً عن المؤثرات الإغريقية، ويرغم تعدادهم الكبير لم يتمتعوا بحقوق المواطنة .. وإن كان بعضهم مثل الكهنة القائلين على عبادة سراجيس قد وصلوا إلى مراكز اجتماعية متميزة وشغل بعضهم وظائف في البلاط الملكي واصطبغوا بالحضارة الإغريقية^(١٥).

وبناء عليه تأثرت معظم الجاليات بالصبغة اليونانية فيما عدا المصريين الذين بعدوا عن مظاهر الحياة الإغريقية خصوصاً بعد تميز كل العناصر والجاليات الأخرى عنهم في كل أمور الحياة حيث كان الاعتماد الأساسي للبطالمة على الإغريق في تغطية كل نواحي الأنشطة الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية .. وكان الإغريق يمثلون لحكام مصر سنداً عنصرياً يجابهون به سكان البلد الأصليين (المصريين).

* عندما شملت الإمبراطورية المصرية سوريا وبقية ومناطق في آسيا الصغرى وبحر إيجه حضرت إلى مصر أعداد أخرى غفيرة من هذه

الجنسيات المختلفة سعياً وراء العمل والرزق الوفير ومن أهم تلك الجنسيات اليهود والسوريون والفيتيقون والليبيون وجماعات من شعوب آسيا الصغرى ويذكر حوزيفوس أن عدد سكان مصر عدا أهل الإسكندرية هو سبعة ملايين ونصف مليون .. وهذه الإحصاءات دقيقة لأن الإدارة اليونانية ولرومانية كانت تسجل المواليد والوفيات بانتظام نظراً لارتباط ذلك بالضرائب التي كانت تجبي من الأفراد .. ويذكر ديوبور الصقلي أن عدد سكان الإسكندرية من الأحرار في العصر الأخير من الحكم البطلمي ٢٠٠ ألف شخص .. وغفل من هذا عدد النازحين من الريف والعبيد الغير مقيدين رسمياً وقد يبلغ تعدادهم ٢٠٠ ألف، أى عدد الإسكندرية ٥٠٠ ألف شخص تقريباً، وبناء عليه يكون سكان مصر في العصرين اليوناني والروماني هو ثمانية ملايين شخص .

* وكان يشاهد علي حد وصف «فيلون» على أرصفة المدينة وفي شوارعها خليط من الناس ينتمون إلى عناصر مختلفة ويتحدثون بلغات ولهجات متباينة .. ووجد بالإسكندرية بعض اليهود ولا سيما بعد اكتشاف الرياح الموسمية التي يسرت الملاحة من أفريقية إلى الهند مباشرة بدلاً من التزام الشاطئ .. وقد حدث قبل ذاك أن أرسل إمبراطور الهند، البودي أسوكا Asoka رسله إلي بطليموس الثاني يدعونه إلى الهدى والصلاح وإن المرء ليتوق إلى معرفة أثر تعاليم جوتاما Guatama في نفس بطليموس هذا الملك الذي عشق الدنيا وملاذها^(١٦).

* حرص البطالة علي تنظيم الأغريق والجماعات المتناغرة من

تسببوا انقراضه هذا ليس بغيره بل لانهما لم يلبسوا ثياباً بل لبسوا
الأجانب حسب أسس خاصة .. وقد تم ذلك عن طريق توزيع أعداد كبيرة من
الإغريق في عداد مواطني المدن اليونانية في مصر أو عن طريق ضمهم في
جماعات كل حسب موطنهم الأصلي تسمى بوليثيوتا، أما سائر السكان من
الإغريق والأجانب والأغلبية الساحقة من المصريين فكانوا ينظمون حرقهم
وأعمالهم.

* اقتصرت العضوية في المدن اليونانية في مصر على الطبقات
المتأثرة من الإغريق .. ولم يقبل البطالة على إنشاء مدن مستقلة فاقترضوا
على المدن التي كانت موجودة قبل قيام دولتهم مثل نقراطيس شمال غرب
الدلتا في نهاية القرن السابع ق.م والإسكندرية التي أنشأها الإسكندر
وأصبحت عاصمة مصر .. ولم ينشئ البطالة سوى بظلمية في أعالي
الصعيد .. وكان هدف البطالة من نظام المدن هو محاولة حفظ جماعات من
العنصر الإغريقي نقية دون أن تختلط بالأهالي من المصريين فتقضي بمرور
الزمن وهذا عكس وجهة نظر الإسكندر الذي كان يعتبر كل مدينة ينشأها
بمثابة بوتقة يختلط فيها الإغريق مع الأهالي الأصليين ويحدث تواصل
واستقرار وتأثير وتأثر بين الأهالي.

أما خلفاء الإسكندر الأكبر فقد عزفوا عن هذه السياسة وجعلوا
مواطني المدن اليونانية في مصر بمثابة فئات ممتازة من بين سائر السكان
وسنوا عدة قوانين تحدد علاقتهم بالمصريين والأجانب وهي (١٧) :

* عديم التزاوج من المصريين حتى يبقى الدم الإغريقي نقياً في
عروقهم، خصوصاً وأن المواطنة في المدن الكبيرة كانت قاصرة على

العناصر المتأثرة من الإغريق.

* الإغريق الآخرون كانوا رغايا الملك مباشرة ولم يتمتعوا بحق المواطنة، وأوجد لهم نظام آخر يعرضهم عن حرمانهم من حياة المدينة السياسية وهو نظام البوليتوما وهي عبارة عن رابطة تضم جميع أبناء الوطن الواحد من بعض الفئات الإغريقية أو المتأثرة فوجدت بوليتيوما للمقدونيين وأخرى لليهود وثالثة للسكرتيين ورابعة للبيتوتيين... إلخ

* كانت البوليتيوما تعد هيئة مستقلة ذات نظام خاص يفلب عليه الطابع العسكري، ولها أيضاً أوجه من الأنشطة الاجتماعية والذهنية وهي خاضعة للملك مباشرة، ويرجع أن السبب في إنشائها هو أن تقسم جنود الجيش البطلمي في أثناء السلم حينما ينتشرون في الريف ويستقرون على مزارعهم ليسهل حصرهم واستدعائهم بسرعة عند الحاجة .. وبالرغم من أن كل بوليتيوما كانت في البداية قاصرة على جنس بعينه إلا أنها فقدت هذه الصفة بمرور الزمن، وأصبحت منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تضم أفراداً من عناصر أخرى أو جاليات أخرى^(١٨).

* إن وجود اليهود بمصر يرجع إلى ما قبل العصر البطلمي، فقد أقام الفرس حامية من اليهود في جزيرة اليفتين على حدود مصر الجنوبية، وكانوا يتكلمون اللغة الآرامية .. وبعد فتح الإسكندر مصر توافد اليهود في أعداد كبيرة استقرت في مواطن مختلفة حتى كونوا جالية لأنفسهم سكنوا الحى الرابع المسمى دلتا وسرعان ما تركوا اللغة الآرامية واتخذوا اللغة اليونانية بدلاً منها .. وخير دليل على ذلك هو ترجمة التوراة إلى اللغة

اليونانية التي تمت في مصر في العصر البطلمي وتسمى عادة بالترجمة السبعينية .. وكانت هذه الترجمة من الأهمية بمكان لأن كثير من اليهود وكانوا قد تأغرقوا تماماً وأصبحت اللغة اليونانية لغتهم .. وكانت المراسيم الدينية اليهودية تؤدى باللغة اليونانية .. وتدرجياً يفقد اليهود في مصر أى صفة مميزة لهم عن الإغريق واتخذوا الزى اليونانى وتسموا بأسماء إغريقية وتحدثوا اللغة اليونانية .. وسمح لهم الملوك البطالمة بتكوين بوليتيوما لتنظيم شئونهم الخاصة وأقاموا أماكن العبادة ولهم محاكمهم الخاصة .. خصوصاً فى الأمور الدينية بينما الأمور التى تمس القضاء المدنى أو الجنائى كانت تأتى تحت طائلة قضاء الدولة.

* كان المصريون هم الأغلبية وعماد المجتمع وكما كانوا رعايا الفرعون أصبحوا رعايا الملك البطلمي، وكان تنظيمهم حسب حرفهم وأعمالهم كما كانوا فى العصر الفرعونى ويذهب (هيروdot) إلى أن المصريين كانوا ينقسمون إلى طبقات حسب أعمالهم. الكهنة، الجند، رعاة البقر، رعاة الخنزير، التجار المفسرون، رجال القوارب، .. وقد أغفل هيروdot طبقات أخرى كانت موجودة فى مصر الفرعونية كما كانت موجودة فى عصر البطالمة طبقة الفلاحين .. طبقة الصناع .. طبقة الموظفين الإداريين ..

ويتضح من دراسة العصر البطلمي أن أفراد كل مهنة أو عمل كانوا منظمين تنظيمياً دقيقاً إلى الدرجة التى كان من السهل معها تحديد إمكانات الدولة فى مجالات الأنشطة المختلفة^(١٩).

* كان وضع المصريين في بداية الأمر في مركز المغلوب على أمرهم حيث إن الوضع الممتاز والتميز كان للإغريق في كل المجالات والأنشطة، فكان اليوناني هو الرئيس والمصري هو المرعوس بإستثناء طبقة الكهنة كما سبق القول .. وإدرك البطالة خطورة وقوة الكهنة فحاولوا إضعافهم فسلبوا المعابد بعض ممتلكاتها وإمتيازاتها، إلا إنه بعد ضعف البطالة يسمى المصريون بصفة عامة والكهنة بصفة خاصة إلى استرداد حقوقهم وتحسين أحوالهم ومراكزهم حيث كان دورهم في الجيش محدود للغاية خصوصاً في الأسطول .. ولكن ما لبث أن اعتمد بطليموس الرابع وجند منهم عشرين ألفاً كان لهم الفضل في القضاء على الغزو السيلوفي في معركة قاصلة عند رفح عام ٢١٧ .. وكان من نتيجة ذلك استرداد المصريين لثقتهم بالنفس وشعورهم بأنهم لا يقلون في الكفاءة عن الإغريق وطالبوا بحقوقهم في تولي جميع المناصب .. وبناء عليه شغلوا مناصب قيادية في الجيش والقصر والإدارة، وزادت الثورات التي قاموا بها ضد الأسرة الحاكمة في الإسكندرية وشغلت فترة طويلة من النصف الثاني من العصر البطلمي (٢٠).

* كانت اللغة الرسمية لسكان مصر البطلمية هي اللغة اليونانية وهي لغة الطبقة الحاكمة ... أما المصريون فقد استمروا يتحدثون اللغة المصرية القديمة، وانقسمت إلى شعبتين ... ما يمكن أن يسمى باللغة الفصيحة التي كان الكهنة يكتبونها بالحروف الهيروغليفية ... واللغة العامية وكانت تكتب بالحروف الديموطيقية ... وهذه اللغة الأخيرة وحروفها دخلتها كثير من التأثيرات اليونانية ... وكانت جميع مراسلات الدولة باللغة اليونانية ... أما المراسيم الملكية والقوانين التي نشرها بين جميع السكان فكانت تنشر إما باللغات الثلاثة أو باليونانية والعامية الديموطيقية.

* ساعد على ازدياد استخدام اللغة اليونانية أنها لغة الإدارة، وكل من يريد الترقى من تحت لواء البطالة يجب أن يتقنها .. ولذلك تعلمها بعض المصريين الطموحين من سكان المدن واليهود .. واتخاذهم أسماء يونانية وساعد على هذا الاتجاه ازدياد الزواج بين اليونانيين والمصريين ، حيث إنه منذ منتصف القرن الثاني ق.م لم يعد الاسم اليوناني في المصادر يدل على أن صاحبه عنصر يوناني فقد يكون صاحبه مصرياً أو سورياً أو يهودياً أو يونانياً أو من أبوين مختلفي الجنسية (٢٦).

خامساً : مظاهر الحياة الثقافية وخصائصها خلال حكم البطالة :

ولما كان المفهوم الأنثروبولوجي للثقافة واسعاً ويتضمن كافة العادات والتقاليد والعرف والقنن والتكنولوجيا والديانات، سنحاول أن نلقى الضوء على كثير من تلك الجوانب المختلفة حتى يتبين لنا كيف أن الإسكندرية كانت تمثل مركزاً ثقافياً وحضارياً بالغ الأهمية في العالم القديم وذلك في النقاط التالية :

١- في مجال الثقافة

* استمدت الإسكندرية مركزها الثقافي من جامعتها ومكتبتها التي أثارت اهتمام العالم القديم كمركز للإشعاع الثقافي وبناء عليه بات التأريخ لآثرهما الحضاري محورياً هاماً لجهود الباحثين في القرنين الأخيرين.

* لقد كان موقع أو مكان الجامعة أو المكتبة في الحى الملكى بالإسكندرية حيث قصور البطالة .. أو كما حدد على وجه التقريب على يد إيفاديسى ريشيه E.Breccia المنطقة الواقعة بين شوارع شريف

وسيزوستريس والنبي دانيال ... وتمت إقامتها في الفترة الواقعة بين عامي ٢٨٨ ، ٢٨٠ ق.م (٢٢)

* إن ديمتر يوس Demetrius مؤسس الجامعة والمكتبة وأحد زعماء السياسة في أثينا ولقد اضطر لمغادرة أثينا كلاجئ سياسي في ٢٠٧ ق.م فاستقدمه بطليموس الأول وأكرمه وعهد إليه بمهمة إقامة الجامعة أو دار الحكمة كما كانوا يطلقون عليها لتكون مركزاً للبحث والدراسة.

* لقد كان القائمون على التدريس في الجامعة يتكون الصفوة من أهل العلم والفكر في جميع أنحاء العالم الهلينستي .. وكان يستجلب بطليموس ومن خلفه علي عرش مصر ويصفة خاصة في الشطر الأول من العصر البطلمي أعضاء الجامعة من أهل الكفايات في كل فن ومن كل مكان استطاعوا أن يمدوا إليه نفوذهم أو ينثروا فيه ذهبهم إلى الحد الذي فيه بلغ عدد المفكرين والعلماء مائة في إحدى فترات العصر الذهبي لحكم البطالمة.

منهم هيروفيلوس Herophilos الجراح الذي كان أول من يكون فكرة علمية واضحة عن الجهاز العصبي ولا يزال الطب الحديث يستخدم مصطلحاته .. وكذلك يوكليدس Eucleides الذي عرفه العرب باسم إقليدس الرياضى الذى ألف كتاب العناصر وعالج فيه النظريات الهندسية التى كانت تدرس حتى عهد قريب وآخرون فى مجالات متعددة. (٢٣)

* كان يتجمع بالإسكندرية أشهر شعراء العصر من أمثال كاليماخس وأبولونيوس الرودس وآخرون وقامت بينهم المعارك الأدبية والنقدية المشهورة بين القديم والجديد وبات من الضرورى لكل مثقف فى العالم أن يلم بتطور

الإنتاج الأدبي في الإسكندرية، حتى أطلق على الأدب اليوناني بـ"سره" في هذه الحقبة اسم الأدب السكندري، وذلك لشدة تأثير مدينة الإسكندرية على الإنتاج الأدبي في العالم في ذلك الوقت بما في ذلك أدباء اللاتين في روما الذين كانوا يحاكون نماذج الأدب اليوناني في الإسكندرية. (٢٤)

* كانت طريقة البحث في تلك الفترة عبارة عن مناقشات أو ندوات في شتى مناحي العلم والفكر يشترك فيها مجموعات متعددة ويدل على جدية هذه المناقشات ما كان يدور فيها من دراسات لا يزال العلم الحديث ينظر إلى كثير من الإكبار والعرفان بالجميل، ولا يزال قدر غير قليل من المعلومات التي وصلوا إليها يتخذ سمة الحقائق الثابتة التي بدأ منها العلم الحديث تطوره في أكثر من ميدان. (٢٥)

وبناء عليه فإن نصيب الإسكندرية في بناء الحضارة الإنسانية في ذلك الوقت على الشعر والأدب، بل قامت بها حركة علمية نشطة خدلت بعلم الرياضات والهندسة والفلك والطبيعة كما سبق القول خطوات هائلة كانت تمثل الأسس للحركة العلمية العربية في العصور الوسطى والنهضة العلمية الأوربية الحديثة، وخير دليل على ذلك أن إقليدس وأرسطيدس وآخرون كانوا من علماء الإسكندرية في العصر البطلمي. (٢٦)

* طغت شهرة مكتبة الإسكندرية على الجامعة تلك المكتبة التي كانت موجودة في الحي الملكي وهي المكتبة الرئيسية، وهناك المكتبة الملحقة بمعبد السرابيوم في الحي الوطني بالإسكندرية (كوم الشقافة الحالي).

* حازت مكتبة الإسكندرية شهرة واسعة في العالم القديم برغم وجود

مكتبات سبقتها من الناحية الزمنية وكانت تحتوى على مجموعات متنوعة من الكتب مثل المكتبة الملحقه باكاديمية الفنون ... ومكتبة معهد اللغويون حيث كان أرسطو يلقى محاضراته ويعقد حلقاته الدراسية، خصوصاً وأن جميع الكتب فى بلد مثل أثينا فى القرن الرابع كانت لازمة من لوازم الرجل المثقف وهذا ما تؤكده الوثائق التاريخية ... ويرجع شهرة مكتبة الإسكندرية إلى أنها كانت أول مكتبة عامة تملكها الدولة فى العالم القديم وهذا كان غير موجود فى أثينا التى أمسكت بزمام الثقافة والفكر ربحاً غير قليل من الزمن فلم يكن لها مكتبة عامة.

* إن مكتبة الإسكندرية منشأة عامة لا يملك التصرف فيها شخص بعينه وتتفق عليها الدولة، إلا أنها كانت مقصورة على طبقة المثقفين وليس مفتوحة أمام العامة ... ومع ذلك فهي كانت تعتبر خطوة هامة نحو قيام الدولة على نشر الثقافة والتثقيف.

* إن مكتبة الإسكندرية قد ضمت عدداً كبيراً من المجلدات بلغ ما يقرب من ١٢٨ ألف مجلد وهذا أكثر مما تضمه مكتبة جامعة الإسكندرية الحالية بما يزيد عن ألف مجلد. (٣٧)

* حرص البطالمة بكل الطرق على تزويد هذه المكتبة بالنسخ الأصلية من المؤلفات الموجودة فى عصرهم، أو بالترجمات اليونانية لما كتب بغير هذه اللغة ... فنجد فيلادلفوس يطلب من مانيثون الكاهن المصرى أن يضع تاريخاً لمصر باللغة اليونانية، ويكلف العلماء فى أثينا وروندوس بإرسال مؤلفات أشهر الكتاب إلى الإسكندرية ... وتم ترجمة التوراة من العبرية إلى

اليونانية فى عهد البطالمة ... وإرسال ثالث حكام البيت البطلمى إلى أثينا يطلب على سبيل الإعارة المخطوطات الأصلية لمسرحيات إسخولوس ويوريبيدس حتى ينسخها أدباء الإسكندرية ... وهذا يدل على أن الاتصال الثقافى بين أثينا والإسكندرية كان نشطاً فى تلك الفترة ... وساعد على أداء المكتبة لدورها فى إثراء حركة الفكر والوقوف على ثقافات الشعوب أمناء المكتبة الذين تعدوا حدود العمل الإدارى الروتينى فكانوا سلسلة من العلماء برز كل منهم فى ميدانه كأزوع ما يكون ... حيث كان من مهام أمناء المكتبة تعليم أولاد الملك ... وكان منهم زينودوتس أول من نشر ملحمتى الإلياذة والأوديسة على أساس علمى من النقد والتحليل، وأبولونيوس السكندرى شاعر الملاحم وأراتسفين العالم الجغرافى ... إلخ.

* قامت مكتبة الإسكندرية بمهمة نسخ المخطوطات التى لديها وكانت تبيعها للأفراد فى مصر وتصدرها إلى مراكز الثقافة اليونانية المختلفة وكذلك إلى روما فيما بعد.

* تعرضت الجامعة والمكتبة وعلمائها للطغيان وكانت أول كارثة على يد بطليموس الثامن الذى ثار عليه الشعب السكندرى لطرقه التعسفية فصب جم غضبه على المدينة وكذلك الجامعة والمكتبة وخير دليل تعيينه مشرفاً عاماً من أعوانه من غير نوى الاختصاص فى شئون العلم ... إنذار المكتبة بعد العهد البطلمى نتيجة الحريق الذى يختلف نسبته للرومان أو للعرب. أو سبب عوامل الاستهلاك العادى كما يذكر وسترمان (وهذا غير صحيح) فالحريق هو الذى أودى بالمكتبة.

* إن الإسكندرية كانت في عهد البطالمة مركزاً ثقافياً إغريقياً في صبغته وإدارته وإن كان علمياً في حدود العالم المتحضر المعروف، حينذاك في توجيهه وطبيعته، فقد عكس التقاء الحضارات الآتية من الشرق والغرب بعد انتزاعها مركز القيادة الثقافية في العالم اليوناني من أثينا. (٢٨)

(٢) التأثير والتأثر في مجال الفنون والآداب:

* إن الإسكندرية قد شهدت نهضة فنية رائعة ... فقد أدت للفن خدمات جليلة وإن الأدب السكندري قد تخطى حدود موطنه ليتترك أثره في فطاحل أدباء اللاتين أمثال فرجيل وهوراس، كما أن الفن السكندري قد تغلغل ببعض أبوابه ونفذ أثره عميقاً في غيره من الفنون اللاحقة.

* إن معالم المدرسة السكندرية الفنية كانت ترتكز على البيئة التي خلقتها وهي يونانية ... فلم تكن الإسكندرية في العصر اليوناني الروماني كما هي الآن جزء من مصر بل كانت على حد تعبير اللاتين «الإسكندرية المجاورة لمصر» فلم تكن حضارتها أو نظمها في ذلك العصر جزءاً مماثلاً لحضارة بقية بلدان مصر ولكن كانت على العكس أقرب ما تكون لحضارة دول البحر المتوسط والممالك الهيلينية الأخرى عنها إلى حضارة مصر نفسها حتى أن ملوك البطالمة سلخوا في نظراتهم للمدينة مسلكاً يخالف نظراتهم إلى بقية بلدان القطر (مصر) فكانت معابدهم ومبانيهم بالإسكندرية على الطراز اليوناني بينما أسبقوا على مسلكهم في بقية أجزاء القطر صبغة الفراعنة.

وبناء عليه فقد ظهرت صورهم خارج الإسكندرية تحمل الطابع

الفرعونى، كما نجد ذلك من خلال صورة بطلليموس الثالث وزوجته المنحوتة على واجهة معبد الكرنك، وكذلك معابدهم فى إدفوا وكوم أمبو ودندرة وغيرها من بلدان القطر قد بنيت على نمط ذلك الطراز المصرى القديم.

ولقد حمل الفن فى الإسكندرية طابعه اليونانى وإن كان قد احتضن فى بعض إنتاجه الكبير بعض عناصر الفن الفرعونى أو فن البلاد الأصلية، ويرجع ذلك للأسباب الآتية :

* تدفق واستمالة وجذب ملوك البطالمة للعلماء والأدباء والفنانين واليونانيين من مختلف أرجاء العالم إلى الإسكندرية، فاستعانوا بفنانى مقاطعة أتيكا لما كان بين هذه المقاطعة ومصر من صلات قوية وتضامن أمام تعديات العدو المشترك. وقد جاء هؤلاء الفنانون مزودين بما تعلموه فى بلادهم على يد أساتذة الفن فى بلاد اليونان فى القرن الرابع ق.م. أمثال سكوياس وليسبوس وإليس وغيرهم. (٢٨)

* تشجيع الواقدين إلى مصر على البقاء فى البلاد وتيسير سبل العيش والكسب ووصفة خاصة للفنانين والعلماء خصوصاً من أبناء دار الحكمة ومكتبة الإسكندرية اللتين دعم من مركزه ما إنزال على مدرسة عامة والإسكندرية خاصة من غنائم وخيرات نتيجة للفتوح العديدة فى آسيا وأفريقيا وحوض البحر المتوسط، وما برته التجارة والصناعة على مصر من نعم وخيرات خصوصاً بعد إقامة منارة الإسكندرية الشهيرة وإزدهرت المدينة بما قام بين أرجائها من معابد ومبان شامخة، وما ازدادت به ميادينها ومكتبتها من تحف وأثار.

* إن الفن قد وجد فى الإسكندرية أرضاً خصبة لما ناله من تشجيع وتقدير السكان حيث كان معظمهم من جنود الغزو الذين حضروا فى عهد الإسكندر أو اليونانيين النازحين من أرجاء العالم اليونانى أو المصريين أهل البلاد الأصليين ... ومن المعروف تاريخياً أن المصرى واليونانى يعيشون الفن منذ أقدم العصور .. ويؤكد ذلك ما جاء فى كتابات سفراء الإسكندرية إبان حكم البطالمة عن تقدير السكان للقيم الفنية والآثار والقطع الفنية .. كما حدث فى وصف ليونيداس لتحفة الرسام إبليس أو قصيدة هيروداس الرابعة التى يصف فيها التماثيل واللوحات الموجودة فى محراب الإله اسكليبيوس ... إلخ. (٢٩)

* ولقد وضحت اتجاهات ومعالم مدرسة الإسكندرية الفنية بتفردھا عن غيرها من مدارس الفن المختلفة الشهيرة فى العصر الهيلنستى مثل مدرسة برجامة أو مدرسة أنطاكية أو مدرسة رودس ... فظهرت شخصيتها فى كل النواحي التى تتحكم فى العمل الفنى سواء فى المادة المستعملة التى يصنع فيها العمل الفنى أو الطريقة المستخدمة لتنفيذ العمل الفنى أو فى الموضوعات التى عبر عنها هذا الفن ... ولذلك نجد أن ندرة وجود الرخام أو البرونز أو الحجر الجيري فى مصر والتي كانت تصنع منهم التماثيل فى اليونان لوفرة هذه المواد هناك، وكان استيراده مكلفاً للغاية وتحوطه صعوبات النقل ... إلخ. فأتجه فنانو الإسكندرية إلى عمل التماثيل صغيرة الحجم من الرخام فى الأحوال النادرة كعمل تماثيل الآلهة والأباطرة الرومان ولكنهم استعاضوا عن الرخام بالمرمر المصرى لبياض لونه ولوجود شبه

كبير بينه وبين الرخام كما يرى في المقبرة التى ترجع لأوائل العصر البطلمي الموجودة حالياً بمقابر اللاتين بالشاطبيى .. واستخدم الحجر الجيري للفرض نفسه في التماثيل الكبيرة الموجودة بمتحف الإسكندرية ... كما لجأ الفنانون لاستعمال المصيص في صناعة بعض التماثيل الذى كان يستخدمه فنانون الفراعنة في عمل التماثيل ... ولجأ فنانون الإسكندرية في كثير من الأحيان لاستخدام الرخام في بعض الأجزاء وتكملة التمثال بالمصيص مستغلين مرونته وليونته وسهولة صناعته وبخاصة عند تشكيل شعر الرأس واللحية وكان المصيص يمزج أحياناً بمسحوق الرخام المتبقي من عمليات النحت فيكسب الشعر واللحية لمعاناً عند صقله، وكانت صناعة هذه الأجزاء من الرأس من هذا المزيج تجنبهم ما قد يسببه استعمال الأزميل في الرخام من كسر التحفة الفنية أو تشويه التمثال .. وكان يتوفر المصيص في محاجر المكس ويستخدم علي نطاق واسع في عمل التماثيل أو تغطية لتماثيل الخشبية أو الحجرية الأخرى أو جدران المباني ليسهل طلائها باللون ويساعد علي حفظ اللون لمدة أطول ويعطيه صلابة وقوة لمقاومة عوامل التعرية .

* كما استخدم فنانون الإسكندرية المصيص في عمل نسخ عن الأصل للوجوه البشرية وعمل قوالب من المصيص لنماذج التماثيل ونسخ منها من نفس المادة أو من التراكوتا (الطين المحروق) أسوة بفناني الفراعنة في عمل قوالب ونسخ التماثيل وأقنعة الرأس التى كانت توضع على المومياء ... واستخدام المصيص كذلك في عمل التماثيل الصغيرة الكاريكاتور وعمل

الزخارف البارزة على الأواني الهلينستية والزخارف التي كانت تحلى بها المرايا والأواني الفنية والمعدنية ... وكانت الإسكندرية هي مركز إنتاجها الوحيد ومصدر تصديرها الهام في ذلك العصر. (٢١)

* لقد كانت للمنافسة الشديدة بين ملوك البطالمة أثر بالغ الأهمية في تشجيع إنتاج التماثيل الصغيرة والسلع المزخرفة بكميات كبيرة لاستخدام الناس بكثرة لها في تزيين المنازل ولتأنس موتاهم في مقابرهم، ولتزيين المكتبات والأماكن العامة ... ولهذا نشطت صناعة هذه المقتنيات الفنية لتلبية الطلب المتزايد عليها.

* تأثير الفن السكندري باستعمال الألوان اللازمة لفن النحت الفرعونى مهما كانت المادة المستخدمة، فاستخدموا الألوان -حتى على الرخام كما ترى آثارها في رأس الطفلة المرجودة بمتحف كلية الآداب بالإسكندرية، وكما ترى في تماثيل مجموعة التباجر- لصغر حجم التماثيل التي تعد من خصائص الفن السكندري، واستخدام المصيص المستخدم في الفن المصرى القديم.

* يظهر أثر المدرسة الأتيكية في الوقفة أو في صياغة الرداء ... إلخ، أو أن هذا الطراز ابتكروه فنانون الإسكندرية ثم انتشر منها إلى غيرها من مراكز الفن الهلينيسى.

* استخدم الفنانون السكندريون المواد الصلبة المتوفرة في مصر كما استخدمها الفراعنة في نحت تماثيلهم وإقامة مبانيهم الضخمة كالبازلت وحجر الجرانيت بألوانه المختلفة ويظهر ذلك في نحت مثالي الإسكندرية

لبعض التماثيل للوك البطالة وملكاتهم من البازلت ... مثل تمثال بطليموس الثالث وتمثال الملكة أرسينوى زوجة بطليموس الثاني في متحف لفاتيكان بروما. (٢٢)

* لقد خلق العصر البطلمي آثار مختلفة تدل على حضارة عظيمة وعت وعظمت وشجعت الإبداع فى مختلف الآداب والفنون مثل منارة الإسكندرية التى كانت تعتبر ثالث عجائب العالم القديم ... السرابيوم (معبد سراييس)، وكان يهدف البطالة من وراء إقامة هذا المعبد أن يوجد رابطة بين الديانة اليونانية المصرية وكون تبعاً لذلك لجنة من الكاهن المصرى مانتون والكاهن اليونانى تيموثيوس واستقر الرأى على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالث اليونانى سراييس وزوجته وابنهما حريوقراط. وشيد للعبادة الجديدة معبد سراييوم بالحق الوطنى (منطقة عمود السوارى) ... القيصريون (معبد قيصر) الذى شيده (كليوباترا) آخر ملوك البطالة باسم عشيقها مارك أنطونى ... ومقابر الإسكندرية التى أقيمت فى أطراف المدينة شرقاً (الشاطبى، الإبراهيمية، مصطفى كامل) وغرباً (الأنفوشى، كوم الشقافة، الوردىان) وهو امتداد طبيعى للمدينة التى كانت بحكم موقعها محصورة بين البحر المتوسط وبحيرة مريوط ... وكان الأجانب وبصفة خاصة اليونانيين يفضلون أن يدفن موتاهم فى الجبانة الشرقية، أما المصريون فكانوا يفضلون الجبانة الغربية لقربها من الحق الوطنى الذى يسكنون فيه والمقابر الملكية التى يطلق عليها السىما.

(٢) التأثير والتأثر في الأمور الدينية:

ونلمس في تأثير الثقافة اليونانية على مظاهر الحياة الدينية في النقاط التالية :

* إن الحياة الدينية في مصر كانت متميزة بتعدد المعتقدات فقد وجدت في مصر بالإضافة إلى سكانها الأصليين والإغريق جاليات من جنسيات أخرى مثل الفرس والعرب واليهود وكان طبيعياً أن تتعدد الديانات.

* احتفاظ المصريين بمعتقداتهم الدينية المتوارثة وظلوا يعبدون آلهتهم القديمة مثل أمون رع وبتاح وإيزيس وأوزيريس ... وقد حرص البطالمة في محاولة لاحتواء المصريين واسترضائهم والتقرب من آلهتهم وبناء المعابد وتقديم القرابين بالرغم من سعيهم للحد من سلطات كهنة هذه الآلهة.

* أدى خوف البطالمة من سلطة الكهنة إلى انتزاع إدارة أموال المعابد من أيديهم وتفتيت الهيكل الإداري للنظام الكهنوتي نفسه.

* احتفاظ الإغريق الذين سكنوا بمصر بمعتقداتهم الدينية وظلوا يعبدون آلهتهم الخاصة التي نقلوها معهم من موطنهم الأصلي وأقاموا لها المعابد في المدن التي كثروا بها ... ولقد ساعد الإغريق في المحافظة على معتقداتهم الدينية أنهم عاشوا في مدن لها نظامها الخاص ... لما أولئك الذين لم يستوطنوا هذه المدن فقد تكتلوا في تجمعات دينية واجتماعية قاصرة عليهم.

* عدم استطاعة الإغريق خصوصاً الذين عاشوا منهم خارج المدن ذات الطابع اليونانى فى أن يظلوا لفترة طويلة بعيدين عن المستقدرات المصرية قنَّثروا بها وخير دليل على ذلك إطلاق أسماء إغريقية على آلهة مصرية كتسمية الإله آمون المصرى بإسم الإله زيوس الإغريقى.

أوجد البطالة ديانة جديدة فى محاولة للتقريب بين المصريين والإغريق تقوم على فكرة الثالوث الذى قدم فى شكل إغريقى وللمصريين فى شكل مصرى .. أى فى شكل إنسانى للإغريق وفى شكل حيوانى للمصريين.

* لجرء البطالة إلى تأليه أنفسهم وفرض عبادة ملوك البطالة فى محاولة منهم لإحكام سيطرتهم على إمبراطورية تتكون من عناصر متباينة قد لا يجمعها سوى رباط دينى من هذا النوع أى عبادة الملك رمز وحدة الدولة .. وهذا التأليه كان من الممكن أن يكون مقبولاً لدى المصريين فقد إعتادوا على عبادة ملوكهم من الفراعنة بوصفهم أنصاف آلهة أو ممثلين للآلهة على الأرض^(٢٣).

سادساً، تأثير الثقافة اليونانية فى مظاهر الحياة الاقتصادية بالإسكندرية؛

جدير بالذكر أن أهمية الإسكندرية من الناحية الاقتصادية لم تقتصر على كونها مجرد ملتقى للطرق التجارية فحسب، إلا إنها كانت خير مكان يستطيع منه البطالة أن يدخلوا هذه الطرق فى دائرة تفوذهم، وما يؤكد ذلك توسعاتهم فى حوض البحر المتوسط، ولهذا كانت الإسكندرية ثغرهم الأول وعاصمة ملكهم ... ولهذا أدخلوا فى البحر فى ملكهم قبرص وقورية الغنية بفلالها وجوف سورية وفينيقية ذات الغابات الواسعة وكارية ذات التجارة الواسعة ... إلخ .

(١) نظام الأراضي،

لقد كانت سياسة البطالة في نظام الأراضي يوجهها عاملان هما :

* العمل على بناء دولة قوية اقتصادياً تحت حكمهم الملكي المطلق.

* إقامة عدد كبير من الإغريق الذين حضروا إلى مصر وكانوا

العنصر الأساسي في بناء جيشهم وإدارتهم للبلاد ...

وبناء عليه نفذت هذه السياسة على نحو يتلاءم وظروف مصر وتقاليدهم وتظهر الوثائق أن هذه السياسة قد تم تطبيقها منذ منتصف القرن الثالث ق-م وإن أراضي مصر كانت تنقسم إلى الأنواع التالية (٢٤).

أ- أراضي الملك،

ولقد كانت الأراضي الزراعية أهم في الضيعة الكبيرة نظراً لخصوبتها العالية نتيجة تجدد تربتها كل عام بالفرين الذي يتخلف فوقها من فيضان النيل ... وكان الملك من الناحية النظرية هو المالك الوحيد لهذه الأرض .. وقد كانت هناك جزء من أبعاد هذه الأراضي تقع تحت إشرافه الفعلي ويطلق عليها الأراضي الملكية التي تؤجر لفلاحين يعرفون باسم «مزارعي الأراضي الملكية» وكانت عقود الإيجار اختيارية، لكن بعدما تسر العثور على المستأجرين لجأ إلى الإكراه في بعض الأحيان، وكان مزارعو الملك رجالاً أحراراً لا عبيداً للأرض، غير أن حريتهم هذه كانت تخضع لبعض القيود مثل عدم استطاعتهم ترك أراضيهم في خلال موسم العمل الزراعي، ونقلهم إلى أماكن أخرى لاستصلاح أراضٍ جديدة .. وكان من

حق الدولة أن تلغى عقود الإيجار في أي وقت تشاء وإن تنقل الأراضي إلى مستأجر آخر يقدم عرضاً أعلى .. وكان المقابل لذلك هو تمتع المستأجرين ببعض الامتيازات ويقسط معين من الرعاية الحكومية (٢٥).

وبالرغم من أن الأراضي نظرياً كانت ملكاً للملك إلا إنه لم يستحوذ عليها بمفرده، حيث نجد صود الملكية الخاصة في أيام البطالة الأولى ثم ازدادت وضوحاً في أواخر عهد البطالة.

ولقد كانت الأراضي التي لا تخضع لرقابة الملك وإدارته المباشرة « Apheseige'en » أي الأراضي التي يتخلى عن إدارتها لغيره ومن هذا النوع ضياع المعابد حيث كانت تستغل لصالح المعابد وتكون قسداً خاصاً من الأراضي يطلق عليها « الأراضي المقدسة ».

ج- الإقطاعات العسكرية،

كانت هناك أراض أخرى تمنح في صورة « إقطاعات » للجنود المقيمين في مصر الذين عرفوا باسم أرباب الإقطاعات ويفضل هذا النظام حقق البطالة هدفين يتمثلان في إنهم شرطوا للحصول على الإقطاعات إن ينتظم صاحبها في سلك الخدمة العسكرية وبذلك ضمنوا لأنفسهم مدداً من الجند المدربين الذين إرتبطت مصالحهم بالبلاد ومن ثم يقل احتمال انتقالهم للعمل في خدمة سيد آخر كما يفعل مرتزقة الأسراق الحرة ... كما ضمنوا من ناحية أخرى ازدياد رقعة المساحات المنزوعة ازدياداً كبيراً ... كما أنهم كثيراً ما منحوا إقطاعات في أراض غير جيدة واشتروا على أربابها استصلاحها .. وكانت هذه الإقطاعات تمنح مدى الحياة فقط، ولكن إذا

احتياج الملك لمدد لا ينقطع من الجند المقيمين تحت إمرته في البلاد، جرت العادة على أن يؤول الإقطاع إلى أكثر الأبناء عقب وفاة الأب، بل نجد إقطاعيات ممنوحة بصفة أبدية .. وبناء عليه أصبحت الإقطاعيات مع مرور الوقت وراثية واكتسبت مظهر الإمتلاك الخاص إلا إنها من الناحية النظرية ملكاً للملك ولكنهم كانوا يتحايلون للتصرف فيها .

د- إقطاعات الموظفين:

وتتمثل في الضياع الكبيرة التي منحت لكبار الموظفين والمقربين للملك، وقد خضعت هي الأخرى لشرط استصلاح الأجزاء المهجورة منها، ومثل هذه الضياع كانت تمنح لصاحبها مدى حياته فقط ثم يستردها التاج عقب وفاته، وكان يفرض في أغلب الأحوال على أصحاب المنازل القائمة حول الإقطاعات إيواء الجند في منازلهم ..

هـ- أراضي الملكية الشخصية:

وكانت هناك «أراضي الامتلاك الخاص» التي تتألف عادة من البساتين ومزارع الخضروات والنخيل والكروم وكانت هذه تزرع كلها في أراضٍ تتطلب قسطاً من الاستصلاح، ولكنها لا تلائم زراعة القمح والغلل، وكانت تمنح لأصحابها بموجب عقود إيجار طويلة الأجل أو عقود وراثية .. وبالرغم من أن القانون كان يسمح بانتقال ملكية هذه الأراضي من شخص إلى آخر، ولا يرجح أن أصحابها قد امتلكوها امتلاكاً فعلياً في أية فترة خلال عهد البطالة .. وبناء عليه فإن الأراضي الخاصة وعلى حد تعبير الدكتور تارت لم تكن أملاكاً حرة بالمعنى المعروف، إنما كانت تستغل

استغلالاً حراً^(٤٦).

وبعد هذا الغرض لنظام الأراضي نجد من الأهمية أن تلقى الضوء على الأنشطة الإنتاجية المختلفة مثلاً كما يلي :

(٧) الزراعة :

جدير بالذكر أن البطالة قد أضافوا مساحات للأرض المزرعة في مصر كما انتعشت صناعات الذهب والفضة والبرونز في الإسكندرية ورغم احتكار الملك البطلمي لبعض الصناعات إلا أن المصانع الحرة انتشرت، كما انتشرت المصانع الأخرى التابعة للمعابد وكبار الملاك.

* عدم اعتماد الصناعة في مصر كما في اليونان على العبيد بشكل أساسي وذلك بسبب كثافة السكان في مصر^(٤٧).

التجارة :

لقد بذل البطالة جهداً نشيطاً في تشجيع التجارة الخارجية، حيث إن مصر برغم ثرائها الزراعى إلا إنها كانت فقيرة في كثير من المنتجات، واعتمد على زيادة الواردات في السلع التي يحتاجها السوق المصرى كالأخشاب والمعادن والتبيض وزيت الزيتون والسكك الملح ومختلف أنواع الفاكهة والجن والعبيد والخيول .. وكانت أهم صادرات مصر القمح حيث إنها كانت أكبر منتج للغلل في شرقى البحر الأبيض المتوسط، والبردى التي انقردت بتصديره إلى مختلف أرجاء العالم القديم، والكتان والدقيق والزجاج المتعدد الألوان الذى اشتهرت به الإسكندرية، والمرمر والأحجار

الكريمة المختلفة.

كما أن مصر كانت مركزاً لتجارة عابرة نشيطة .. فقد كان يأتي من الصومال وشرق إفريقية وبلاد العرب والهند الذهب والأحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والتوابل والأصباغ وبعض أنواع الأخشاب النادرة والقطن والحبر .. وكانت هذه البضائع تنقل براً من موانئ البحر الأحمر عبر الطرق الصحراوية إلى قفط Coptus على النيل .. وتيسيراً للنقل الداخلي فقد عمم البطالة استخدام الجمل في مصر .. وكانت هذه السلع في بعض الأحيان تصدر من مصر إلى الخارج عقب وصولها، وفي أحيان أخرى تتناولها أيدي الصناع المصريين المهرة بالصقل ثم تستهلك محلياً أو يعاد تصديرها (٤٢).

العملة:

وضع البطالة نظاماً اقتصادياً نقدياً متكاملًا في مصر بعد أن كان أساس التعامل هو المقايضة .. ولذلك سك بطليموس الأول عملة ذهبية وفضية وبرونزية .. وأدخل على هذه العملات تعديلات كثيرة فيما بعد .. كما أن النسب بين العملة الذهبية والفضية ثم بين الفضية والبرونزية كانت تتغير من وقت لآخر، وأنشئت تبعاً لذلك المصارف في أنحاء البلاد وتدن الوثائق على وجود نظام مصرفي متكامل .. وهذا لم يبلغ النظام الإقتصادي القديم نهائياً حيث إن إيجارات الأراضي الملكية وبعض المرتبات كانت تدفع عيناً كما لم تختلف المقايضة من الحياة التجارية وقد كانت المخازن الحكومية التي تجمع فيها الغلال تعتبر بمثابة مصارف للحسابات الفردية شأنها في ذلك شأن المصارف المالية حيث كان تدفع الضرائب النقدية ... وعثر بين الوثائق

على أوراق يمكن أن تقارن بالصكوك (الشيكات) المعروفة في وقتنا الحاضر.

الإحتكار

ولقد كان هناك نظام احتكار حكومى واسع المدى، اقتضت سياسة البطالة العملية الواقعية البحتة تنويمه بحيث تتفق فى حالاته المختلفة مع احتياجات الدولة المتباينة .. وقد كانت الأعمال المصرفية من بين هذه الاحتكارات الحكومية .. ولذلك كانت توجد مصارف ملكية تقوم بالأعمال الفردية والحكومية على السواء، وكان يوجد إلى جوارها مصارف أهلية تؤجرها الحكومة للأفراد (٤٣).

وتدل الوثائق على أن هناك احتكار الزيت حيث إن مصر كانت تزرع من قديم الزمن النباتات الزيتية مثل السمسم والخرع ويزر الكتان والقرطم والحنظل، ولقد فرضت رقابة صارمة أيام البطالة على زراعة هذه النباتات، حيث حددت حكومة البطالة مساحة الأراضى التى تزرع بها فى كل إقليم وراقبت زراعتها وحصادها مراقبة دقيقة .. وكانت الحكومة هى التى تمد الزراع بالبذور، ثم يحصر المحصول حصراً دقيقاً ويقدم ريعه ضريبة بينما يقوم الزراع بتسليم باقى المحصول للمتعهدين بأسعار محددة ... وكان الزيت يستخرج من مصانع خاضعة للرقابة الحكومية، ويعمل بها عمال لا يسمح لهم بمغادرة أماكن إقامتهم طول موسم عصر الزيوت بالرغم من أنهم كانوا أحراراً لا عبيداً وقد حرم استعمال المعاصر الخاصة التى ترجع إلى عصر ما قبل البطالة باستثناء معاصر المعابد التى سمح لها باستخراج

الزيت اللازم لها في خلال شهرين فقط من العام ثم تغلق بعد ذلك بقية السنة، مثلما كانت تغلق المعاصر الملكية خلال فترة التوقف عن العمل ... ولقد كان حق بيع الزيت يمنح بطريق الالتزام لتجار الجملة وتجار التجزئة على السواء، ويجدر أن يبيعه بالسعر الذي تحدده الحكومة، وكان الملك يجنى من هذه العملية ربحاً طائلاً للغاية .. وقد فرضت علي استيراد زيت الزيتون ضريبة بلغت ٥٠٪.

وكان هناك أيضاً احتكار المنسوجات سواء أكانت من الكتان أم من الصوف أم من التيل .. وقد سمح للمعابد بالاستمرار في صناعة منسوجاتها الكتانية الدقيقة التي اشتهرت بها وذلك لاستخدامها في المعابد ذاتها (فقد كان محرماً على الكهنة لبس الصوف) إلا إنها كانت تسلم للملك كمية معينة من إنتاجها للتصدير، كذلك احتكر البطالة صناعة الملح والصدوا والجة شراب المصريين القوم، وإن سمحوا بعمل هذه الأخيرة في المنازل^(٤٤).

الضرائب:

وكان من الطبيعي نتيجة تلك الاحتكارات المتنوعة ... (إجارات الأراضي الملكية .. والضرائب المفروضة على أراضي الإقطاعات وغيرها التي تخلى الملك عن إدارتها لغيره ضريبة علي الميراث بالنسبة للضياع، وعلى التراخيص التي تمنح لمزولة الحرف المختلفة، وعلى المبيعات بكثير من السلع التي يتناولها الناس، وعلى العقارات ... إلخ، أن حصل البطالة علي دخل هائل سواء أكانت عينية أم نقدية، خصوصاً وإن طريقة جمع الضرائب

والرسوم الجمركية، كانت طريقة الإلتزام التى تعرض فى المزاد كل عام.

وبناء عليه كان ملتزموا الضرائب يخضعون لرقابة صارمة فى كل خطوة حتى لا تضار مصالح التاجر أو مصالح دافعى الضرائب، ولذلك كان من الصعوبة تحقيق ربح يسير من عملية الإلتزام وبات الحصول على الملتزمين بمرور الزمن أمراً عسيراً للغاية.

سابعاً، ملامح التأثير فى الحياة السياسية؛

لقد وضع تأثير الثقافة اليونانية فى كثير من مظاهر الحياة السياسية فى الإسكندرية بصفة خاصة ومصر بصفة عامة وتلمس ذلك سن خلال المعالجة التالية:

(أ) تأسيس المدن،

مما لا شك فيه أن بطليموس الذى غداً ملكاً على مصر وفرعوناً وإلهاً فى نظر رعاياه المصريين، وكان رجلاً دمث الطبع، طيب القلب وجندياً لا يعوزه الدهاء، ويمثل صورة صادقة لأفراد الطبقة الثانية من النبلاء المقدونيين، كما كان رجلاً مثقفاً شمل الآداب الإغريقية برعايته، ولذلك وضع مؤلفاً عن غزوات الإسكندر صار مرجعاً هاماً لاختلاف أعمال المؤرخين عن تلك الحقية التاريخية على المستوى العالمى (٤٥).

ولقد اتبع بطليموس فى مصر سياسة مخالفة لما اتبعه الإسكندر فى تشييد المدن ... وقد رأى إقامة جنده المرتزقة بين أفراد الشعب المصرى سواء أكان ذلك فى قرى الإقليم أو فى عواصمها بدلاً من إقامتهم فى مدن

إغريقية الطراز ... وكانوا يطلقون على هذه العواصم اسم متروبوليس Me-tropolis وهي مدن متوسطة الحجم ولكنها في نظر الإغريق لم تكن أكثر من قبرى كبيرة .. وبالرغم من أن الإغريق قد أسموها مدناً Polis مثل هرموبوليس - مدينة هرميس Hermopolis (الأشمونين)، وهيراكليوبوليس مدينة هيراكليس Heracleopolis (أهناسيا) إلا أنها لم تتمتع بالحكم الذاتى ولم تكن بها جمعيات شعبية ولا مجلس للشورى (كما كان يحدث إبان حكم الإسكندر) كما أنها كانت تخضع لسلطات مدير الإقليم ..

بناء عليه لم يشيد بطليموس Ptolemaios إلا مدينة إغريقية واحدة سميت باسمه وهي مدينة بطلمية Ptolemais (المنشأة بإقليم جرجا) على الشاطئ الغربى للنيل فى مصر العليا .. وكانت هذه المدينة مع الإسكندرية والمدينة الإغريقية القديمة نقراتيس Nacratiss فى الدلتا هى التى تمثلت فيها فكرة الإغريق عن المدينة الهلينية الحرة ... ونود أن نقوه إلى أن سياسة بطليموس وخلفائه فى عدم التوسع فى إنشاء المدن الإغريقية كما حدث فى سوريا على يد سليوكوس ثم بطليموس الثانى كان يتعارض مع سياسة الحكم الملكى المطلق التى اتبعتها البطالمة فى وادي النيل ..

ب- التميز العنصرى:

لقد فرق ملوك البطالسة عكس سياسة الإسكندر بين جميع الرعايا فى مصر .. فقد فرقوا بين الإغريق (المقدونيين) والمصريين فبينما كان الإغريق سادة، كان المصريون مسودين ينتمون إلى جنس أدنى .. وبناء عليه أبعدوا عن الجيش وعن الوظائف الإدارية الكبرى .. وقد فهم أن عملية اختيار

الإسكندرية عاصمة للبلاد بدلاً من منف التي استقر بها لاجوس في أول الأمر ودفن بها الإسكندر بعد استيلائه على جثته، ثم عملية نقل جثة الإسكندر إلى مقبرته في الإسكندرية، على هذه الأعمال من قبيل التخلي نهائياً عن فكرة إشراك المصريين في إدارة شؤون البلاد ومن ثم جعلهم أنداداً للإغريق.

كما نجد إختلافاً في الوضع القانوني للإغريق والمصريين فبينما تمتعت القوات المقدونية بامتيازات معينة، فإن أعمال السخرة في شق قنوات الري وإقامة الجسور كانت من نصيب الفلاحين المصريين وحدهم (٤٦).

ولقد انتظم الإغريق وغيرهم من المستوطنين في جاليات لها قوانينها الخاصة .. وبالرغم من أن البطالة الأولى قد أخذوا يقسط وافر من الحضارة الهلينية إلا أنهم في سياستهم الرسمية قد بعدوا عن النظريات الخيالية .. فكانوا حكاماً شديدي المراس ورجال أعمال يحرصون على توفير الاستقرار والثراء والنقود في العالم للدولة التي أقاموها .. وقد كان يميلون إلى الاعتبارات العملية ويبعدون عن الخيال والعواطف ..

ولقد اعتمد البطالة اعتماداً كبيراً في تكوين جيوشهم على المرتزقة من الإغريق والمقدونيين والفرس والآسيويين المتأغرقين خصوصاً بعد انقطاع صلتهم بين وطنهم الأصلي مقدونيا الذي كان يمد الإسكندر بالجنود، هذا من ناحية .. ثم لأن المصريين لم يكن قد جندوا جيوشاً قوية منذ انتهاء عهد إمبراطوريتهم العظيمة في خلال الألف الثانية ق.م.

ولقد اتبع بطليموس الأول سياسة من شأنها تدعيم عن طريق :

* إسكان أكبر عدد من هؤلاء المرتزقة في مصر عن طريق منحهم إقطاعات من الأرض الزراعية نظير قيامهم بالخدمة العسكرية عندما يطلب منهم ذلك.

* التوسع في استخدام النقود بدلاً من الاعتماد على المقايضة في إتمام الصفقات والتعاملات التي يقوم عليها النظام الاقتصادي.

* الاعتماد على الإغريق وخبرائهم لتنفيذ مشروعات استصلاح الأراضي وللقيام بتجارب عملية في الميدان الزراعي ..

* اللجوء الي رجال الإدارة الإغريق لإقامة هذا البناء البيروقراطي المحكم الذي أدار دفة الأعمال في المملكة .

* أصبحت الكويني «koine» التي تعد صورة نولية للغة الإغريقية اشتقت من الأتيكته بل طغت علي اللهجة المقدونية وصارت لغة البلاط والجيش والإدارة .

* اتجاه أنظار ملوك البطالمة إلي ما وراء حدود مصر الي شرقي البحر المتوسط حيث كانوا يتطلعون إلي القيام بدور رئيسي .. حيث كانوا ينظرون إلي مصر كدعامة لقوتهم وكضيعة غنية تمدهم بالغلال وتفيض عليهم بالثراء^(٤٧). ولقد اختلف العلماء في تفسير سياسة البطالمة الخارجية فيذهب كورثمان Kornemann إلي أن البطالمة الأوائل كانوا يطمحون إلي بسط سلطانهم ونفوذهم علي جميع أرجاء العالم شأنهم في ذلك شأن الإسكندر الأكبر الذي كان هدفه بناء إمبراطورية عالمية يصوغ فيها فكرته

الوحيدة عن الوحدة بين البشر أجمعين ... بينما يرى فيلكن «Wilcken» أن مصر كانت في نظر ملوك البطالة مجرد وسيلة للحصول على الثروة اللازمة لتحقيق أهدافهم خارجها وتتمثل في لعب دور رئيسي في سياسة البحر الأبيض المتوسط الدولية وتكوين امبراطورية في حوضه ...

ويرى روستوفتسف «Rostovizeff» أن مصر كانت في نظر ملوك البطالة هدفا في ذاته وإذا كانوا يريدون بناء دولة قوية غنية في وادي النيل وعلى شواطئ البحرين الأبيض والأحمر، وتسطيع أن تزود عن استقلالها، ومن أجل هذا كانوا مضطرين إلى السيطرة على الطرق البحرية المؤدية إلى مصر .. وإلى الاستيلاء على ما يسمى ملحقات مصر الطبيعية .. ويرى أن سياسة البطالة كانت سياسة استعمارية دفاعية وليست استعمارية وهذا يدفعني للقول على أية حال أن مصر بثرائها وخبراتها وطبيعتها موقعها المتفرد والتميز على البحرين كانت تمثل مركز الإمبراطورية التي ينشد البطالة إنشائها هذا من ناحية .. ثم أن بطليموس الأول كان قائداً في مدرسة الإسكندر الأكبر وشارك معه في كثير من غزواته على فنون الحرب والقيادة وشاهد عن كثب طموح الإسكندر وكيف كان تحقيقه تدريجياً، خصوصاً وأن الإسكندر قد ترك وراءه إمبراطورية اقتسمها قواده وكان أحدهما بطليموس ابن لاجوس الذي وقع اختياره على مصر وإقامة عاصمته في منف ثم الإسكندرية لموقعها الفريد والتميز على البحر المتوسط والتي كانت حلم الإسكندر الذي تحقق بعد وفاته ... واعتقد أن البطالة كانوا يعتمدون على مصر لثرائها وتوفر الغلال والقمح والخبرات التي تمثل المدد

للجيوش التي سيفزون بها الأقطار لاختصاصها والاستيلاء عليها لتحقيق
إمبراطوريتهم.

* لم يحاول أحد من ملوك البطالة باستثناء كليوباترا الأخيرة تعلم
اللغة المصرية .

(أ) وضع المصريين في مصر:

لقد رحب المصريون بالإسكندر كمنقذ لبلادهم، ثم لحسن معاملته لهم
ولاحترامه لآلهتهم .. عكس ما حدث لهم في عصر ملوك البطالة .. فقد كان
المصريون يعاملون معاملة الأتنياء المغلوبين على أمرهم. وتمثل الإحساس
بذلك بعدم المساواة بينهم وبين الإغريق في الناحيتين الاجتماعية
والاقتصادية .. وعلى الرغم من ذلك فقد تكونت في مصر طبقة أرستقراطية
وطنية قوامها بعض كبار رجال الدين وقلة من المدنيين الذين شغلوا بعض
المناصب الهامة، إلا أن عامة المصريين كانت تنتمي إلى طبقة اجتماعية من
طبقة المستوطنين الإغريق ... فكانوا هم أصحاب الحرف ومزارعي الأراضي
الملكية، وإذا منحوا إقطاعات أو اقتنوا أراضي خاصة، فإن أراضيهم كانت
أقل مساحة في أراضي الإغريق وإقطاعاتهم، فقد كانوا يصنف عامة
مستأجرين وعمالا كانوا أداة التنفيذ بينما كان الإغريق أداة التوجيه ... وقد
قابل المصريون هذا الوضع وتدنى المركز بروح العداة الصامتة ويرد فعل
طبيعي تمثل في الكبرياء القومي، وفي ازدراء بدع المستعمرين .. وتوجد
بعض الأدلة التراثية تتضمن بعض قصاصات من النصوص ومن الآداب
القومية التي تدل على وجود حزب قومي نشيط كان رجاله يحلمون باليوم

الذى يطرد فيه الأجنى البغض (٤٨).

وبالرغم من أن موقف معظم المصريين من النظام الجديد كان موقفاً سلبياً، فقد تعلم كثير منهم الإغريقية وتسمى بأسماء إغريقية .. وام يتوانوا عن الإفادة من الظروف الجديدة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وبناء عليه احتل البعض كما سبق القول المناصب الإدارية العليا ... وبينما الحال هكذا للمصريين بصفة عامة فقد وجد الكهنة الذين يعتبرون معقل التقاليد القومية، ومعين القادة والزعماء للثورات الشعبية أن حكامهم الجدد أخف وطأة عليهم من حكامهم القدامى .. ومرد ذلك أن البطالة قد شيدوا معابد جديدة ووسعوا المعابد القديمة ولم ينتقصوا من امتيازات الكهنة ... وكان من ثمار هذه الرعاية الملكية أن قام الكاهن المصرى مانيثون Manethon بكتابة تاريخ لمصر باللغة الإغريقية جمعه من سجلات المعابد وأقواء الناس .. وبالرغم من فقد هذا التاريخ إلا أنه كان المصدر الرئيسى لتاريخ مصر القديم حتى فكت رموز الهيروغليفية ..

وبالرغم من تعدد الثورات ذات الطابع القومى التى استتفزت قوى البلاد خلال القرنين الثانى والأول .. إلا أنه ليس هناك ما يؤكد على أن المصريين قد ثاروا جميعاً ثورة عامة ضد حكامهم المقدونيين، فطالما انقسموا إلى فريقين أحدهما يقف إلى جانب الحكومة والآخر فى جانب الشعب، ولقد قاد باوس Paos المصرى قيادة القوات الملكية فى إنليم طيبة بوصفه مديراً لهذا الإقليم (٤٩).

ب) وضع الإغريق في مصر:

لقد تميز الإغريق سواء أولئك الذين عاشوا في الإسكندرية أو بطلمية بتقاليدهم الهلينية ونظروا إلى المصريين نظرة احتقار باعتبارهم من المتبربرين. إلا أن أولئك الذين استقروا في سائر أنحاء البلاد سرعان ما تخلوا من عزلتهم الذين تمسكوا بها في يادئ الامر وبدأوا في التعاهر مع الوطنيين وتسموا بأسماء مصرية واندمجوا تدريجياً وطريق شتى في بيئتهم الجديدة ... وما يؤكد ذلك وجود رسالة تتحدث فيها سيدة عن ابنها الذي أخذ يتعلم اللغة المصرية كوسيلة لتحسين مركزه المالى ...

ويجدر الإشارة إلى أن الاندماج قد بدا واضحاً في الناحية الدينية .. حيث أظهر الإغريق نواماً تسامحهم الدينى واستعدادهم لعبادة الآلهة الأجنبية ... وما يؤكد ذلك تشبيههم الآلهة والإلهات المصرية بنظائرها الإغريقية إلى الحد الذى يجعل القارئ للوثائق البردية يتساءل عند قراءة أسماء الآلهة الإغريقية هل المقصود معبوداً أو معبودة مصرية ... وهناك احتمال بانصراف الإغريق عن عبادة الآلهة الأولمبية (*) إلى عبادة الآلهة المصرية .. فى عام ٩٨ وعام ٩٥ ق.م. نجد مجموعة من شباب الإغريق الذين يتعلمون وفقاً للتقاليد الهلينية يقدمون الهبات للتمساح إله الفيوم.

وإذا كان الإسكندر الأكبر كان يهدف من فتوحاته العسكرية تحقيق حلم الوحدة بين أوروبا وآسيا بما فيها مصر ... فإن هذه الوحدة لم تقم على أساس المشاركة أو المساواة التى كان يبغيها الإسكندر .. إذ كانت العلاقة بين الطرفين علاقة غالب بمغلوب وإذا كان كثير من الشرقيون قد

تعلموا اللغة الإغريقية ولبسوا الزي الإغريقى وأخذوا بقسط لا بأس به من الثقافة الإغريقية فإن الإغريق من ناحيتهم قد اقتبسوا الكثير من بيئتهم الشرقية ولاسيما فى الناحية الدينية ... وينطبق ذلك بصفة خاصة على مصر حيث عاش الإغريق المستوطنون مبعثرين بين الوطنيين المصريين فى بلد يعتز بطابعه الخاص كل الاعتزاز، لا فى مدن حرة مستقلة منعزلة .. بناء عليه ظهرت حضارة مختلطة امتزجت فيها العناصر الشرقية بالعناصر الإغريقية امتزاجاً معقداً، وكانت هذه الحضارة بمثابة التربة الخصيبة التى كان لابد منها لظهور المسيحية وانتشارها .. إلا أن هذا الامتزاج لم يرق على أساس وطيء، حيث إن الحضارة الهلينية كانت تنهكها المؤثرات الشرقية ولم تكن تستطيع أن تحتفظ بمقوماتها إلا إذا رعتها الحكومة رعاية فعالة .

وإجمالاً فإن هذه الحضارة لم تكن أكثر من قشرة حجبت حضارة موغلة فى القدم تختلف عنها تمام الاختلاف، وكانت هذه القشرة رقيقة إلى حد كبير فى إقليم طيبة أبعد أقاليم مصر عن الإسكندرية وعالم البحر المتوسط .. ومرد ذلك تركيز نفوذ رجال الدين بقوة هذا من ناحية، ثم لأن عدد الإغريق المستوطنين قليل (٥٠).

خاتمة البحث ونتائجه

لقد أبرز البحث تأثير الثقافة اليونانية على جميع مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعملية التأثير والتأثر بين الثقافة اليونانية والثقافة الفرعونية وما ينتج عن ذلك من عمليات الاقتباس والاستعارة والاقتناء بين الثقافتين للسماة المادية وغير المادية فى الثقافتين ... وخلص البحث إلى عدة نتائج نجل أهمها فيما يلى :

١- لقد كان الإسكندر يهدف عدة أهداف من وراء تأسيس الإسكندرية، فحضرارياً لأن تصيح مدينته الجديدة معيناً لا ينضب للحضارة الإغريقية بنشر ألويتها بين ربوع الشرق بعد أن يتم له فتحه وإخضاعه لسلطانه .. وعسكرياً باعتبارها قاعدة بحرية تتيح له السيطرة على شرق البحر الأبيض المتوسط، وتجارياً كميناء خصوصاً بعد تحطيمه ميناء صور وهو فى طريقه لمصر.

٢- لقد كان حلم الإسكندر وهدفه النهائى هو توحيد العالمين الشرقى والغربى .. وكان اتجاهه نحو الشرق واستمرار فتوحاته وانتصاراته خصوصاً وأن الجزر كانت منتشرة بشكل واضح فى حوض بحر إيجه مما جعل من السهولة بمكان إمكانية قيام اتصالات بين شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة آسيا الصغرى.

٣- أن الاتصال بين حضارة العالم الشرقى والعالم الغربى قد تخلف عنه اقتباس أو استعارة لبعض السمات الثقافية المادية وغير المادية بين هذين العالمين، إلا أنه لم يصل لحد التمثيل الثقافى على حد تعبير كائىرولوجيين.

٤- لقد تدفق تيار الهجرة الإغريقى للبلاد التى فتحتها لهم بعد وفاته وحمل هؤلاء المهاجرون معهم فنونهم وأدابهم وأساليب معيشتهم كما نقلوا أنظمتهم المدنية ومعادهم جيمينازيوم وألعابهم وأعيادهم، أى مختلف عناصر التراث الثقافى لهم وكان لابد لهم من أن يحدث بينهم وبين أبناء المواطن الأصلية فى مصر وآسيا إتصالا ثقافياً.

٥- لقد قسم سكان الإسكندرية بوجه عام إلى خمسة عناصر وتمثل بوجه عام خمس طبقات من ناحية الوضع الاجتماعى فى المدينة .. فقد إنقسم العنصر الإغريقى إلى ثلاثة عناصر ... المواطنى الكاملين أو السكندريين وكانوا من الأسر العريقة ولهم كافة حقوق المواطنه الكاملة .. وطبقة أنصاف المواطنى الذين لا يتمتعون بكافة حقوق المواطنه، وطبقة الإغريق الفقراء الذين توافدوا سعيأ وراء الرزق .. وعنصر القدونيين ويمثلون طبقة ممتازة واليهود والفرس ثم المصرىين الذين كانوا من أصحاب الحرف.

٦- تأثرت معظم الجاليات بالصيغة اليونانية فيما عدا المصرىين الذين بعدوا عن مظاهر الحياة الإغريقية خصوصأ بعد تميز كل العناصر والجاليات الأخرى عنهم فى كل أمور الحياة .. فكان الإغريق يخطون كل نواحي الأنشطة السياسية والثقافية والعسكرية ويمثلون سندأ عنصريأ يجابهون به المصرىين.

٧- اقتصر العنصرية فى المدن اليونانية فى مصر على لطبقات الممتازة من الإغريق ... ولم يقبل البطالة على إنشاء مدن مستقلة فاقتصروا على المدن التى كانت موجودة قبل قيام دولتهم مثل نقراتيس شمال غرب

الدلتا .. ولم ينشئ البطالمة سوى بطليمة فى أعلى الصعيد ... وكان هدفهم من نظام المدن هو محاولة حفظ جماعات من العنصر الإغريقى نقيه دون أن تختلط بالمصريين.

٨- عدم التزاوج بين المصريين والإغريق حتى يبقى الدم الإغريقى نقياً فى عروقهم وكانت المدن الكبيرة قاصرة على العناصر الممتازة من الإغريق.

٩- كانت اللغة الرسمية لسكان مصر البطلمية هى اللغة اليونانية وهى لغة الطبقة الحاكمة ... أما المصريون فقد استمروا يتحدثون اللغة المصرية القديمة وانقسمت إلى شعبيتين .. اللغة الفصيحة وتكتب بالحروف الهيروغليفية .. واللغة العامية وكانت تكتب بالحروف الديموطيقية وهذه الأخيرة دخلها كثير من التأثيرات اللغوية اليونانية.

١٠- حرص البطالمة بكل الطرق على تزويد مكتبة الإسكندرية بالنسخ الأصلية من المؤلفات الموجودة فى عصرهم، أو الترجمات اليونانية لما كتب بغير هذه اللغة ... ولقد طغت شهرة مكتبة الإسكندرية على الجامعة حيث أن القائمين على الإشراف عليها يمثلون نخبة ممتازة من أهل الفكر والثقافة.

١١- لقد شهدت الإسكندرية نهضة فنية رائعة .. فقد أدت للفن خدمات جليلة خصوصاً وأن الأدب السكندرى قد تخطى حدود موطنه ليترك أثره فى قطاحل أدباء اللاتين أمثال فرجيل وهوراس .. كما أن الفن السكندرى قد تغلغل ببعض أبوابه ونفذ أثره عميقاً فى غيره من الفنون اللاحقة.

١٢- لقد وجد الفن بالإسكندرية أرضاً خصبة لما ناله من تشجيع وتقدير السكان ... خصوصاً وأن اليونانيين والمصريين معروفون تاريخياً

بعشقهم للفن منذ أقدم العصور .. وقد تفردت مدرسة الإسكندرية الفنية عن مدارس الفن المختلفة في العصر الهلينستي.

١٣- لقد كان للمنافسة الشديدة بين ملوك البطالمة أثر بالغ الأهمية في تشجيع إنتاج التماثيل الصغيرة والسلع المزخرفة بكميات كبيرة لاستخدام الناس بكثرة لها في تزيين المنازل ولتأنس موتاهم في مقابرهم ولتزيين المكتبات والأماكن العامة .. وبناء عليه نشطت صناعة هذه المقتنيات الفنية لتلبية الطلب المتزايدة عليها.

١٤- تميزت الحياة الدينية في مصر بتعدد المعتقدات .. حيث وجدت جاليات متعددة بالإسكندرية كالإغريق والفرس واليهود والعرب .. الخ وكان طبيعياً أن تتعدد الديانات .. ولقد ظل المصريون يعبدون آلهتهم ويتمسكون بمعتقداتهم المتوارثة خصوصاً مع تقرب الإغريق البطالمة لاسترضائهم.

١٥- أوجد البطالمة ديانة جديدة في محاولة للتقريب بين المصريين والإغريق تقوم على فكرة الثالوث الذي قدم للإغريق في شكل إغريقى وللمصريين في شكل مصرى .. أى في شكل إنسانى للإغريق وفي شكل حيوانى للمصريين .

١٦- انقسم نظام الإراضى إلى عدة أقسام، منها أراضى الملك، وأراضى المعابد، والإقطاعات العسكرية، وإقطاعات الموظفين وأراضى الملكية الشخصية....

١٧- أضاف البطالمة مساحات شاسعة للأراضى المنزرعة في مصر بعد استصلاح الأراضى وزراعة كل أراض بما يتناسب مع جودتها من النباتات.